20 me année No 1011

بدل الاشتراك عن سنة

ـــصـــ

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

AR-RISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

Le Caire 17 — 11 — 1952

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٢٧٤٩٠

العدد ١٠١١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ صفر سنة ١٣٧٢ — ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

يا لجراحات الوطن الاسلامى!

للأستاذ سيد قطب

تمثل فرنسا على مسرح الشمال الإفريقى فى هذه الأيام أبشع مآسى « الرجل الأبيض » حتى إذا تحركت الكتلة العربية الآسيوية لتحول بين فرنسا وبعض شناعاتها فى هذه الرقعة من الأرض، وقف موسيو روبير شومان وزير الخارجية الفرنسية ينذر وزير الخارجية الأمريكية بأن فرنسا سترفض التصديق على معاهدة الصلح الألمانية وتوقيع ميثاق الدفاع عن غرب أوربا، كما ستنسحب من حلف الأطلنطى إذا أيدت الولايات المتحدة التونسيين والمراكشيين فى الأمم المتحدة

وحق لفرنسا أن تهدد أمريكا. فهى تعلم أن أمريكا غير جادة فى نصرة قضية تونس ومراكش، ولكنها تضحك على ذقون العرب والمسلمين حين تتظاهر بتأييدهم فى قضاياهم ضد الاستعمار الأوربى. ولو كانت جادة لوجدت الوسيلة، فإن فرنسا وإنجلترا تعيشان عالة على أمريكا. ولو أمسكت عنهما المدد لأفلستا. فهى تملك إذن أن تصنع شيئا لو أرادت، ولكنها لا تريد

واللعبة الأمريكية فى موقفها هذا مكشوفة .. إنها تدع فرنسا تهدد وتخضع لهذا التهديد الوهمى، الذى ما كانت فرنسا لتقدم عليه لو أنها تعلم أن أمريكا صادقة النية .. كذلك تستخدم دول أمريكا اللاتينية لامرض نفسه فتوحى إليها أن تعارض أى نص قاطع يؤكد حقوق التونسيين والمراكشيين فى الاستقلال. ليكون ذلك تكأة لأمريكا فى التراجع!

وقد صرح رئيس الوفد الإندونيسى بأن أعضاء الكتلة العربية الآسيوية التى تعمل لوضع مشروع قرار بتشكيل لجنة معظم أعضائها منهم، قد تخلوا عن الفكرة الأولى التى تقتضى بأن يتضمن مشروع القرار فقرة تؤكد حقوق التونسيين والمراكشيين فى الاستقلال وذلك خشية عدم تأييد دول أمريكا اللاتينية للقرار، إذا قدم متضمنا هذه الفقرة ...

ووراء هذا كله أمريكا. فقد صرح مستر فيليب جيسوب رئيس الوفد الأمريكى فى هيئة الأمم بأن الولايات المتحدة تحاول إقناع الكتلة العربية الآسيوية بعدم التطرف فى عداء فرنسا وأنه « سعيد » لأن أعضاء هذه الكتلة قد بدأوا يتراجعون عن موقف التطرف الشديد فى عدائهم لفرنسا! وقال كذلك: إن الولايات المتحدة تريد أن يكون مشروع القرار الذى سيقدم إلى الأمم المتحدة معتدلا بحيث يقتصر على مطالبة الفريقين باستئناف المفاوضات!

هذه هى المأساة التى تمثل فى هذه الأيام على مسرح هيئة الأمم بمعرفة أمريكا والاستعمار الأوربى. ومع ذلك فنحن ببلاهة منقطعة النظير نقف لننتظر العون الأمريكى الذى يخلصنا من

الاستعمار الأوربى !

إننا ننسى أن العالم الأوربى والعالم الأمريكى يقفان صفا واحدا بإزاء العالم الإسلامى . والروح الصليبية القديمة هى هى ما تزال . إننا ننسى هذا لأن فينا منفلين كثيرين ومغرضين كثيرين يضللوننا ، وينشرون دعاية مغرضة عن رغبة أمريكا فى إنصاف الشعوب المستعبدة ، ومساعدة الشعوب المتأخرة . . ومع أننا ذقنا الويل من أمريكا فى فلسطين ، فإن أجهزة الدعاية الأمريكية تعمل . و« جمعية الفلاح » تظهر فى الميدان ، وتقوم بواجبها !

إن جراحات العالم الإسلامى تنبض بالدم فى كل مكان وأمريكا واقفة تتفرج . بل تساعد المستعمر الأوربى القذر . ومع هذا توجد صحف ويوجد ناس . ناس مصريون ومسلمون ، يتسمون أحمد ، وحسين ، وحسن ، وعلى . . . يتحدثون عن تمثال الحرية فى ميناء نيويورك ، وعن فرنسا أم الحرية !

وأحيانا يسألك بعض المتخاذلين أو بعض المدسوسين : وماذا علك أن نصنع ونحن ضعفاء ؟

ماذا نصنع ؟ إذا لم نستطع أن نحطم الكف التى تمتد إلينا بالسوء ، فلا يجوز أن نقبلها . ونحن نقبل الكف التى تصفعنا !

إذا لم نستطع أن نصنع شيئا ، فلنحتفظ على الأقل بأحقادنا المقدسة ، ولنورثها أبناءنا ، فقد يكونون فى ظروف تمكنهم من رد الجميل للرجل الأبيض !

إن الرجل الأبيض يدوسنا بقدميه ، بينما نحن نحدث أولادنا فى المدارس عن حضارته ومبادئه العالية ومثله السامية !

إننا نغرس فى نفوس أبنائنا عاطفة الإعجاب والاحترام للسيد الذى يدوس كرامتنا ويستعبدنا !

فلنحاول أن نغرس بذور الكراهية والحقد والانتقام فى نفوس اللاين من أبنائنا . ولنعلمهم منذ نعومة أظفارهم أن الرجل الأبيض هو عدو البشرية وأن عليهم أن يحطموه فى أول فرصة تعرض . ولكن واثقين أن الاستعمار الغربى سيرتجف حين يرانا نبذر هذه البذور

إن هذا الاستعمار هو الذى حاول أن يغرس فى نفوسنا حبه واحترامه . فلما خشى اليوم أن نستيقظ اخترع حكاية « اليونسكو » ودعا هذا « اليونسكو » إلى حذف كل ما يثير الأحقاد القومية فى دراسة التاريخ . وذلك باسم الإنسانية والإخاء البشرى !

وهذه لعبة استعمارية جديدة يجب أن نتنبه إليها . إننا إذا اتبعنا تعاليم اليونسكو فسنخدر كل شعور قومى ناهض . ولن يستفيد من هذا التخدير سوى الاستعمار . وهذا ما تقصد إليه هيئة اليونسكو !

إن أوربا وأمريكا دول مستعمرة . فماذا عليها من حذف كل ما يثير الأحقاد القومية فى دراسة التاريخ ؟ إنها تكسب بهذا ولا تخسر شيئا . أما نحن فإن الاستعمار يخنقنا . فإذا لم ننبه شعور الحقد عليه فقد خسرنا السلاح الأول وخسرنا المعركة كلها . .

ومع هذا فإن عندنا مصريين مسلمين يتسمون : أحمد ، وحسين ، وحسن ، وعلى . . يعملون فى مصر باسم «اليونسكو» وينشرون الأضاليل ، ويخدعون أمتهم ، ويحاولون تنويمها باسم الإخاء الإنسانى !

إن جراحات الوطن الإسلامى دامية فى كل مكان ، فلا أقل من أن نحتفظ بالكراهية والحقد لمن يدميها . أما مبادئ اليونسكو الجميلة فنحن على استعداد لاعتناقها يوم يتقلص ظل الاستعمار الأسود عن أوطاننا الدامية الجريحة .

لقد عرفنا نحن مبادئ الإخاء الإنسانى قبل اليونسكو بأربعة عشر قرنا . عرفناها وطبقناها ، على أنفسنا وعلى سوانا . ولم نجعلها خدعة ولا فخا ، كما يجعلها الرجل الأبيض . فهذه المبادئ ليست جديدة علينا . ولكن ديننا الذى جاء بها مبكرا جدا ، علمنا كذلك أن نقاتل من يعتدى علينا ، وألا نأمن له ولا نستنيم ، وأن لا نسالم أحدا يعتدى على شبر واحد من الوطن الإسلامى ، أو يناهض العقيدة الإسلامية ويؤذى معتنقيها

« إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم . ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون »

والرجل الأبيض — سواء كان ذلك فى أوربا أو أمريكا أو روسيا — يقاتلنا فى الدين ، ويخرجنا من ديارنا ، ويظاهر على إخراجنا . ومع هذا يوجد ناس مسلمون يتسمون : أحمد ، وحسين ، وحسن ، وعلى ... يوالونهم ، ويروجون دعاياتهم ، ويمكنون لهم فى رقابنا . ثم يحاولون أخيرا أن يخدروا أحقادنا

المقدسة . حتى هذه الأحقاد التي يجب أن نورثها أبناءنا على الأقل مع العار الذي سنورثهم إياه ، لو تركنا جراحات الوطن الإسلامي تدمى في كل مكان ، ونحن لا نصنع شيئا

إن فرنسا تمزق جسم الوطن الإسلامي في تونس والجزائر ومراكش ، وإنجلترا تقوم بدورها في مواضع أخرى ، وأمريكا من خلفهما تبدو تارة وتتوارى .. هذا ما يجب أن نذكره صباح مساء ، وما يجب أن نلقنه أبناءنا بكرة وعشيا

سيد قطب

بمناسبة الذكرى الثالثة

على طه وبيرون

للأستاذ أنور المعداوى

هكذا [1] كان ينظر إلى حياته فيما قبل الثلاثين . لقد كانت تلك الحياة في رأيه أو رأى شعوره هذرا وتفاهات ، لأنها قد خلت مما يبهج القلب ويؤنس الروح وغدت وهي دموع وزفرات ؟ وجوهر شخصيته كما قلنا لك أنه لم يخلق للقيود وإنما خلق للحرية ، ولم يخلق للدموع وإنما خلق للبسمات .. وما كان أشبهــه بالشاعر الإنجليزى « بيرون » في هذه الناحية النفسية أو في هذا المجال ؟ لقد كانت الفكرة السائدة عند بعض كتاب التراجم عن هــذا الشاعر هي هذه الفكرة المنحرفة حين يقولون : « لقد كانت طبيعة بيرون الحقة أنه إذا حزن وتألم فاض بالشعر قلمه في سهولة وقوة وعذوبة ، وأنه إذا سعد وهدأت ثورته هدأ الوحي بهدوء نفسه وضعف بضعف ثورته ، وأنه قد ظل على هذا الحال طوال حياته فسجلت أيام الشقاء أروع قصائده وأجدرها بالخلود ! »

ولقد صححنا تلك الفكرة المنحرفة في الصفحة الثالثة والأربعين من كتابنا « نماذج فنية » ، حيث ورد في معرض السؤال هذا الجواب : « هذه الفكرة تنطبق كل الانطباق على طبيعة شاعر مثل هنريك هاينى وتبعد كل البعد عن طبيعة شاعر مثل لورد بيرون . إن الألم في حياة الشاعر الإنجليزى لم يكن ألما بالمعنى المفهوم عند الشاعر الألمانى ، ولكنه كان لونا من السخط على الحياة يزول وينقضى حين تفسح الحياة طريقها للفتى المدلل ليمضى إلى غيه وهواه ! وما أكثر ما تنحت الحياة عن طريقه وهيأت له كل ما يصبو إليه من تحرر وانطلاق ، وفي رحاب هذا التحرر كانت تنبعث أغانيه حلوة عميقة صادقة . لقد خلق بيرون وفي دمه طبيعة بلبل لا يجيد التغريد إلا إذا رأى الجو صحوا والسماء صافية ، فإذا امتلأ الجو بالغيوم وتوارى النور خلف حجب الضباب سمعت منه بعض الغناء ، ولكنه الغناء المختنق ينبعث من أوتار حنجرة ساخطة ، ثائرة ، تشكو هذا الظلام الذي لا يتيح لها أن تصدح كما تشاء !

من هذه الكلمات الموجزة تستطيع أن تضع يديك على مفتاح هذه الشخصية التي لا غموض فيها ولا تعقيد . يقول بيرون : لقد هببت من نومي ذات صباح فألفيتني مشهورا يتردد اسمي على كل لسان . فلما بعد أن دفع بديوان شعره الأول إلى الناشرين فدفعوا به إلى السماء ، وكان ديوانه هذا الذي حقق له أسباب الشهرة والمجد والخلود هو « تشايلد هارولد » ، وإنه في رأى الفن لخير أعماله الأدبية على الإطلاق ! لقد جادت قريحته الوثابة بهــذا الشعر في لحظات الصفاء ، هناك حيث قضى بيرون في ربوع الشرق أجمل أيامه وأسعد لياليه : كأس خمر معتقة ، وقلب غادة خفاق ، وذهب يسيل بين يديه ، وزورق يمخر به العباب إلى أثينا وأزمير ومالطة واستانبول ، وهذه هي الحياة .. الحياة التي كانت تفجر الشعر في أعماقه تفجيرا ، وتهدى إلى عشاق الأدب والفن أروع ألحانه وأعذب أغانيه ، هناك في « تشايلد هارولد » ! إن الطبائع الفنية معادن : بعضها يتوهج في ظلال الترف والنعيم ، وبعضها يتأجج

(١) فصل من الفصول الجديدة في كتاب أعده المؤلف للطبع ، عن حياة الشاعر وشعره .. أما بداية الحديث هنا فمتصلة بنهاية الفصل السابق حيث ورد هذان البيتان من قصيدة في « بحيرة كومو » :

شاعر النيل طف بها غنها كل مبتكر
الثلاثون قد مضت في التفاهات والهذر !

فى رحاب الفاقة والحرمان ، وبعضها يخبو بريقه أو يسطع إذا ما انتقل من حال إلى حال ! »

فى هذه الناحية النفسية تتفق طبيعة شاعرنا المصرى وطبيعة الشاعر الإنجليزى على التحقيق . . كلاهما سخط على الألم كل السخط ، وعشق اللذة كل العشق ، ووزن أيام الحياة بما فيها من متعة الحس والنفس حيث تقوم الحياة فى رأيه بكل عيد من أعياد الشعور . . تتفق الطبيعتان هنا ويلتقى المزاجان ، ولكن خط السير نحو الغاية المنشودة يختلف عند على طه عنه عند بيرون ، تبعا لاختلاف البيئة والنشأة وأثر الوراثة فى تكوين الشخصية الإنسانية ! لقد كانت المرأة مثلا تشغل حيزا كبيرا من حياة الشاعرين وفنهما على حد سواء . ولقد طاف كلاهما بالجسد الأنثوى ذلك الطواف الذى يطالعك من شعره فى صورته القوية العارمة ، حتى ليخيل إليك أن مفاتن هذا الجسد كانت هى الكوى الشعورية التى نفذ منها إلى تذوق الحياة . . كان شعورهما نحو المرأة هو هذا الشعور ، ولكن شتان فى الإعجاب بها بين نظرة ونظرة وفى الوصول إلى حقيقتها بين طريق وطريق !

لقد انحدر بيرون من صلب أسرة ورث فيها الشذوذ فى النفس والخلق أبناء عن آباء ، حتى لقد خرج إلى الدنيا وفى دمه مزيج من شرور الوراثة وانحراف النشأة . . كان جل همه أن ينشد متعة النفس ولذة الجسد ونزوة العاطفة ، ثم لا يعنيه من دنياه غير اللحظة التى يعيش فيها وتعود عليه بكل ما يشتهيه الفتى الجيل المدلل الذى لا يمد عينيه أبدا إلى الأمام ؛ الفتى الذى لا يتحرج عند جموح الشباب وسطوة الغريزة من أن يحطم فى سبيل شهواته كل ما تعارف عليه المجتمع من حدود وقيود ! كان إذا ما تردى فى هوة الإثم والفسق والفجور سعدت نزواته وسعد فنه وسعد عشاق هذا الفن ومريدوه . . إنها لحظات الصفاء بالنسبة إلى رجل يرى السعادة فى إشباع رغبات الجسد ، ولو تركزت هذه الرغبات الشريرة الجامحة فى شخص « أوجستا » أخته من أبيه ! ومن هذه النزوة المحرمة فى شرع العرف والسماء يتدفق إبداع بيرون فى « عروس أبيدوس » وهى القصة الشعرية التى تصور طبيعة الهوى الآثم بين « زليخا » وأخيها « سليم » أو حقيقة الهوى الآثم بين «أوجستا» و «بيرون» كما نقلتها إلينا أصدق الأخبار والروايات .. صحيح أنه سجل ألمه المنبعث من وخز الضمير على ما اقترف من إثم فى بعض شعره ، ولكن الحقيقة التى بقيت لنا من شعره وحياته تؤكد لدارسيه أنه لم يكن يفرغ من آلامه العابرة حتى يعود إلى لذاته الدائمة ، فيسهب ويبدع هنا ويوجز ويفتر هناك ؟ يسهب حيث تطول اللذة ويوجز حيث يقصر الألم ، وما الفن إلا انعكاس صادق من الحياة على الشعور !

ولم يكن على طه فى علاقته بالمرأة أو فى نظرته إلى الجسد الأنثوى من هذا الطراز . لقد كان طرازا آخر بلا مراء ، أو صورة أخرى ستعرف على التحقيق ألوانها النفسية فيما يلى هذا الفصل من دراسة تحليلية [٢] . . إن هذا المثال المستخلص من حياة الشاعر الإنجليزى ، قد قصد به الإشارة إلى اختلاف خط السير عند الشاعرين تبعا لاختلاف البيئة والنشأة كما قلت ، أو تبعا لاختلاف أثر الوراثة فى تكوين الشخصية الإنسانية . وتبقى بعد ذلك نقطة الالتقاء بين على طه وبيرون فى زاوية واحدة تحددها المشابهة بين طبيعتين ؛ تلك المشابهة التى تضع بين أيدينا المفتاح الحقيقى لجوهر الشخصيتين فى لقاء الحياة ، وهو أن كليهما لم يخلق للألم وإنما خلق للذة ، ولم يخلق للدمعة وإنما خلق للابتسامة ، ولم يخلق للقيد وإنما خلق للتحليق شأن كل طائر طليق !

ولقد عاش على طه فترة من حياته فى ذلك الجو الرومانسى الذى تلوذ فيه النفس بالوحدة وتأوى إلى العزلة وتستشعر قسوة الاغتراب ، وتلك الفترة التى عاشها شاعرنا كانت فى حساب الزمن نصف ما قدر له من أيام الحياة .. ولقد مرت على بيرون من ذلك الجو الرومانسى لحظات ؛ لحظات وإن كانت عابرة إلا أنها عكست على بعض فنه خصائص ذلك الجو كما تبرزها فى الأعم الأغلب أشعار الرومانسيين . لقد عرف على طه فى حياته تلك الرومانسية الوجودية التى استحالت فى شعره الأول إلى رومانسية فنية وكذلك عرفها بيرون ، ولكنهما على اتفاقهما فى هذه

---

(٢) هذه الدراسة التحليلية المطولة خص بها المؤلف مجلة « الآداب » اللبنانية التى ستصدر فى الغد القريب عن « دار العلم للملايين »

الظاهرة يختلفان فى التعرض لها والتأثر بها بعض الاختـلاف ، سواء أكان ذلك فى مجال الشعور أم فى معرض التعبير .. وهنا كما كان هناك ، يلتقى الشاعران فى الغاية ولـكنهما يفترقان فى خط السير نحو هذه الغاية حيث يمضى كل منهما فى طريق !

ارجع فى باب « الدراسـة الفنية » لشعر على طه إلى قصيدة « الله والشاعر » ، لترى أننا قد سجلنا حول تلك القصيدة هذه الـكلمات : « هذه الواقعية النفسية الوجودية التى تسير فيها لفتة الفكر جنباً إلى جنب مع خفقة القلب ، هى التى تطالعنا من قصيدة « الله والشاعر » .. وهى واقعية تمثل القسـط المشترك من الحقائق الـكبرى المتبادلة تبادلا كونيا بين الله والإنسان ، وهى حقائق أشبه بالرواسب الفكرية والنفسية المتخلفة فى قرار الذهن البشرى منذ أقدم العصور ؛ منذ أن بدأ الركب الإنسانى يفكر فى واقع هذا السير الطويل فى طريق الحياة ، ويناقش علة وجـوده وغاية بقائه وما بعد فنائه ، هناك حيث ينتظره الجزاء الحق أو غير الحق ممثلا فى عالمى الثواب والعقاب .. ونقول الجزاء الحق أو غير الحق ، مادامت هناك صيحتان تؤمن إحداها بأن الإنسان لايملك أمام القوة العليا شيئا من أمر نفسـه ولا من أمر دنياه ، وإنما هو يدفع فيندفع ويوجه فيتجه ويصير فيسير ، وأنه تبعا لهذه القدرة المسلوبة والحرية المفقودة لاينبغى أن يجزى على سيئاته إذا أساء ، فإن جزى عليها فهو جزاء غير عادل ! إيمان بهذا كله تفصح عنه هذه الصيحة التى تقابلها صيحة أخرى عمادها إيمان آخر ، هو أن الإنسان يملك أمام القوة العليا كثيرا من أمر نفسـه ومن أمر دنياه ، فهو قابض على الزمام لا يفلته إلا برغبته ، مبصر للطريق لاينحرف عنه إلا بإرادته ، عليم بالحقائق لايحيد عنها إلا بمحض هواه ؛ فهو مخير تركت له الحرية فإذا أساء فهمها فعليه أن يتقبل ماأعد له من جزاء ، وأنه لجزاء يتسم بالحق ويتصف بالعدل ويقترن بالإنصاف !

وإذا أنت بحثت عن مكان على طه بين أصحـاب الصيحتين الخالدتين فإن مكانه هناك مع الفريق الأول .. هو معهم فى اتفاق النظرة واتجـاه الفكرة ولـكنه يفترق عنهم فى احتفاظه بإيمانه الذى لاتودى به كل تلك العواصف والأعاصير . إنه يتناول هذه القضية الوجودية الـكبرى من زاويتين : الأولى ليـدافع عن الـكيان الإنسانى أمام سطوة القدر وحكمة القضاء ، مستخدما فى دفاعه منطق الشاعر الفيلسوف الذى يعرض المقدمات عرضا شعريا ترتضيه النفس ليخرج منها بنتائج فلسفية يرتضيها الفـكر . والثانية ليعبر عن حيرته البالغة وحـيرة القافلة الإنسانية وهى تتخبط فى صحراء الوجود تلتمس الظل الظليل فى رحاب الواحة الإلهية ، فرارا من وطأة القيظ ولفح الهجير ! وهو بعد ذلك متأرجح بين البث والشكاة ، وبين الأنين والحنين ، وبين العذاب المهذب والخضوع العميق .. وهو آخر الأمر معذب لا يدرى أين يستقر ولا إلى أى وجهة تمضى به قدماه : خطوة يأس تقذف به إلى الخلف وخطوة أمل تدفع به إلى الأمام ؛ ولـكنه فى غمرة تلك التيارات النفسية المتباينة ضارع مبتهل لايشك أبدا فى رحمة الله » !

هذه الأفـكار والمشاعر التى طاف حولها عقل شاعرنا وقلبه هى فى حقيقتها أثر من آثار ذلك الجو الرومانسى الذى عاش فيه ؛ وهى نتيجة مباشرة لظروف الوحـدة النفسية والعزلة الروحية والانفراد الذاتى كما نعهدها فى حياة الرومانسيين ، هناك حيث يدفع الإنسان دفعا إلى إطالة التأمل فيما حوله من حقائق الـكون وغاية الوجود ومصير الركب الإنسانى بعد انتهاء الحياة ؛ ومثل هذا التأمل لا بد أن يفضى بصـاحبه آخر الأمر إلى التعرض لموقفه وموقف الإنسانية جمعاء إزاء الخالق العظيم . هكذا فعل على طه فى قصيدة « الله والشاعر » وهكذا فعل بيرون فى مسرحية « قابيل » .. إن شخصية قابيل فى تلك المسرحيـة الشعرية ما هى إلا إحدى شخصيات بيرون التى كان يصور معالمها بصدق وأصالة ، ليعبر بها عن حالة خاصة من حالات نفسه وهى معرضة لهزات الوجود ! اتفاق والتقاء ، ولـكن خط السير هنا مختلف كما قلت بعض الاختلاف عن خط السير هناك ، لأن هذه الشخصية « البيرونية » فى مسرحية « قابيل » ثائرة على الخالق سـاخطة على القدر متمردة على السماء ، تريد أن تبرئ الإنسان من كل شر وفساد عرفتهما الأرض ، محاولة أن ترد

كليهما إلى تلك القوة العليا التي تسيطر على الكون وتوجهه إلى مصير معلوم . تحاول هذا ثم تدفعها الثورة العاصفة والعصيان الجامح إلى حد التخيل بأنها « إبليس جديد » ، جاء لينتقم للانسانية الظلومة من خالقها الذى لاتلق منه غير الظلم والعذاب .. وهى بعد ذلك تنتظر على يديه ألوانا من الحساب والعقاب !

ثورة عند بيرون ينقصها التهذيب ويعوزها التبصر وتتشح بثوب التجديف ، وحيرة عند على طه لا تبلغ هـذا المدى من التهور والتنكر والاندفاع ، لأنها حيرة لا تنتهى بصاحبها إلى التمرد ورفع راية العصيان ، وإنما تنتهى به إلى راحة نفسية مصدرها الخضوع والإذعان !

ولقد قلنا فى سياق الحديث عن قصيدة « الله والشاعر » إن تلك القصيدة تمثل الواقعية النفسية خير تمثيل ، فكيف يتفق هذا مع القول بأنها من نتاج ذلك الجو الرومانسى الذى قضى فيه على طه أول العهد بالشباب ؟ كيف تجتمع « واقعيـة » و « رومانسية » فى أثر واحد من آثار الفن دون أن يكون هناك شيء من التعارض والتناقض والشذوذ ، مصدره أن موازين النقد فى أدب الغرب قد وضعت حدودا فنية « فاصلة » بين هـذين اللونين من ألوان الأدب ؟ سؤال مقصود لأن الجواب عنه كذلك مقصود ، ومن وراء السؤال والجواب نهدف إلى الكشف عن حقيقة المشكلة كما ينطق بها الواقع الملموس !

هل قرأت « آلام فرتر » لجيته ، و « رفائيل » للامرتين ، و « رينيه » لشاتوبريان ، و « أدولف » لكونستان ؟ هـذه القصص الأربع يضمها النقاد فى « خانة » القصة الرومانسية وهم يقسمون ألوان الأدب ومذاهبه تبعا لما يتسم به هذا الأدب من خصائص ومميزات ، يردونها عادة إلى شتى العوامل النفسية التى طبع بها العصر وتركت آثارها فى كتابه ، بعد اتفاقهم على أن الأدب نتاج مجتمعه وثمرة بيئته ومرآة جيله التى تنعكس على صفحتها معالم ذلك الجيل . وتبعا لهذا التقسيم الفنى الذى انتهى إليه النقد عرف النـاس أن هناك أدبا رومانسيا وآخر واقعيا فى عرف التسمية المذهبية ، وإن لم يستطع النقد فى « واقع الأمر » أن يفصل فصلا تاما بين خصائص كل لون من ألوان الأدب وهو فى خانته الفنية . . لم يستطع النقد أن يوفق إلى تلك التفرقة الكاملة لأنه نسى أن بيئة الأدب فى عصر من العصور لا يمكن أن تكون « خالصة » لطابع نفسى بعينه ، يلقى ظله الخاص على وجه ذلك الأدب دون أن يفسح مكانا لظل سـواه ! لو فطنت موازين النقد إلى تلك الحقيقة لما وجدت بدا من التعديل فى وضع الحدود الأخيرة للمصطلحات الفنية وتقدير خط السير لاتجاهات الأدب تقديرا نهائيا لا رجعة فيه ! إنك قد تقرأ قصة تمثل اتجاها رومانسيا فى عرف النقاد وهى لا تخلو فى بعض مواقفها من اتجاه واقعى هنا أو هناك ، ثم لا تجد فى هذا شيئا من الغرابة إذا ما وضعت نصب عينيك هذه الحقيقة البادية ، وهى أن عصرا من العصور ينتج فنـا من فنون الأدب ، لا يمكن أن يتسم بسمة شعورية واحدة تترك آثارها التعبيرية الواحدة التى تندرج فى جملتها تحت عنوان ! هل نريد بذلك أن نلغى تلك المصطلحات الفنية التى اتفق عليها نقاد الأدب محددين بها اتجاهاته ومراميه ؟ كلا .. وإنما نريد أن نصحح وضعا هو على التحقيق يحتاج إلى تصحيح ، عندما نقرر مطمئنين أن تلك التحديدات المذهبية يعوزها شيء من التعديل ، مداه أننا إذا قلنا عن طابع عصر من العصور إنه رومانسى فيجب أن يفهم أننا نعنى الطابع الغالب لا الطابع العام ، ونقصد المظهر البارز لا المظهر الشامل ، ونشير إلى السمات الرئيسية لا السمات الكلية ! وفى ضوء هذا التحديد يجب أن ينظر إلى ما كتبناه عن « طابع العصر » الذى قضى فيه على طه أول العهد بالشباب !

ونعود مرة أخرى إلى تلك القصص الرومانسية الأربع فى ضوء هـذا التحديد ! نعود إليها لنقرر أنها توضع أيضا فى خانة الواقعية دون أن يكون هناك شيء من التناقض والشذوذ . . هى « رومانسية » إذا نسبت إلى الجو النفسى القاتم الذى كتبت فيه ، أو إلى الخصائص الفنية التى اصطلح عليها النقاد . وهى «واقعية» إذا نسبت إلى واقع الحيـاة التى كان يحياها أصحابها فى ذلك الحين ؛ الحياة الذاتية التى تسجل حقيقتهم الإنسانية والتى قد

تنطبق على غيرهم من الناس . أليس هذا هو واقعهم النفسي في فترة من فترات العمر سجلتها في تلك القصص سطور وكلمات؟ هو كذلك بلا جدال ، وإنه لواقع عصر في صورته المالية لا في صورته العامة تبعا لما سبق من تحديد .. وفي هذا كله ما يفسر لك انتفاء التناقض في الجمع بين كلتين : هما الواقعيــة النفسية والرومانسية الوجودية !

وفي معرض المقارنة بين شاعرنا المصري والشاعر الإنجليزي نقدم هــذا السؤال : هــل تأثر على طه في شعره بذلك الاتجاه الرومانسي الذي نلمحه عند بعض الشعراء الغربيين ومن بينهم بيرون ؟ سؤال مقصود أيضا لأن الجواب المنتظر عنه مقصود ؛ حين نفتح الصفحة الرابعة والستين بعد المائة والصفحة التي تليها من الجزء الثالث من « حديث الأربعاء » للدكتور طه حسين فنجد هذه الكلمات : « ومن الكتاب من يقول إن شاعرنا تأثر بأبي العلاء ثم يضيق بهذا التأثر . ولست أدري أتأثر شاعرنا بأبي العلاء حقا أم تأثر ببيرون أم تأثر بهما جميعا وبقوم آخرين غيرهما أم لم يتأثر بأحد، وإنما لقي من لقي من الشعراء مصادفة وعلى غير قصد ولا عمد . وأحس أنا في قصيدة أخرى أسماها « غرفة الشاعر » روحا « لموسييه » ، ولكني لا أدري أهو روح الذي قرأ فتأثر أم هو روح الذي أحس فتألم ، فشكا فلقي موسييه في هذا كله أو في بعضه . ولست أتردد في الرضا عن هــذه القصيدة والحب لها والإعجاب بها . ولست أكره أن تشاركني في هــذا الرضا وأن تشاطرني هــذا الحب والإعجاب ، فاقرأ معي هــذه القصيدة وقف معي عنــد بعض أبياتها وقفات قصارا . . . هذه الصور المتتابعة المختلفة حسان كلها ، ولكنها بعيدة إلى حــد ما عن المألوف من حياة شعرائنا الشرقيين ، إلا أن يكونوا مترفين قد ألفوا حياة الغرب وكلفوا بالسهاد في غرفة يضطرب فيها نور ضئيل شاحب ، وتغنى فيها بقايا الجذوة في الوقد ، وكل هذا يألفه الغربيون ، وهو يذكر بموسييــه تذكيرا قويا . وبعض النــاس يعيب شاعرنا « بتغريب » الشعر ، أما أنا فأحمد له هــذا النوع وأراه تشريفا للشعر العربي ورياضة للذوق الشرقي وللغة العربية على أن يسيغا ما لم يتعودا أن يسيغاه من قبل . وإذا كان لي أن آخذ الشاعر بشيء فهو ما قدمته من أن الأمر يختلط في شعره على القارئ فلا يدري ألقي زملاءه الغربيين والشرقيين مصادفة أم عن تعمد وسعي » !

إن السؤال مقصود هنا لأن اسم الشاعر الإنجليزي بيرون قد ورد في سياق الحديث الذي دار به الدكتور حول قصيدة « الله والشاعر » ، أما آثار بيرون الفنيــة التي لا « يدري » الدكتور هل لقيه فيها شاعرنا المصري مصادفة أم عن تعمد وسعي! أما تلك الآثار فلم يشر إليها بكلمة واحــدة تفصح عن حقيقتها حين يطلب إلى الدارسين مثل هذا الإفصاح . . ولا ندري نحن هل كان يقصد مسرحية « قابيل » التي ذكرناها عند المقارنة بين الشاعرين أم كان يطلق القول إطلاقا بغير تحديد ! إن غاية ما يقال هنا أننا قد تعرضنا لقصيدة على طه ومسرحية بيرون ، وانتهينا إلى أنهما متفقتان في الهدف ولكنهما تفترقان في خط السير حتى ليذهب كل من الشاعرين في طريق . وما أبعد الشقة بينهما في حساب النقد الذي يلمس الفارق بين فكرتين قد اختلفت حولها القيم الشعورية والتعبيرية !

لقد أدار الدكتور المفتاح مرة أخرى في ثقب الباب ولم يفتح ؛ أما ذلك المفتاح فلم يكن غير تلك العبارة التي ساقها وهو يفترض وجود شيء من التجاوب الفني بين على طه وموسيه . . ترى أهو روح الذي قرأ فتأثر ، أم هو روح الذي أحس فتألم ، فشكا ، فلقي موسيه في هــذا كله أو في بعضه ؟ إن الدكتور هنــا أيضا لا « يدري » ولا يستطيع أن يقطع برأي لأنه لا يملك الدليــل . . والدليل الذي يعوز الدارسين كما قلنا ونحن نتحدث عن هــذه القصيدة في باب الدراسة المذهبية مرجعه إلى عدم الإحاطة بظروف الحياة التي تنتج الفن ، وتضع بين أيديهم أداة الربط بين شخصية الكاتب وما كتب أو بين شخصية الشاعر وما نظم وتحول بينهم وبين السؤال الذي يبقى بلا جواب ! لو رجع الدكتور إلى حياة شاعرنا فيما قبل الثلاثين كما استعرضناها في الفصلين السابقين ، لأدرك أن الشعور بالحزن في « غرفة الشاعر » أو الشعور بالحيرة

فى « الله والشاعر » كان طبيعيا لا أثر فيه للتقليد والمحاكاة ، وأن ذلك الروح الذى أحسه فى هاتين القصيدتين كان روح الشاعر الذى تحير فى صدق فالتقى فى حيرته عن غير قصد مع بيرون ، وتألم فى صدق فالتقى فى ألمه عن غير عمد مع موسيه

. . إن التشابه بين إنتاج الرومانسيين أمر لا غرابة فيه ولا موضع للدهشة وافتراض الفروض ، لأن الأجـواء النفسية التى حلقوا فيها بالشاعر وجالوا بالخواطر كانت متشابهة أو كان التوافق بينها جد قريب ؛ ومن هنا لا يجوز لنا أن نسأل عن تلك العلاقات التأثرية بين أصحاب الآثار الرومانسية ، إلا إذا استطعنا أن نثبت وجـود شئ من تلك العلاقات بين جيته فى « آلام فرتر » ولا مرتين فى « رفائيـل » ، وكونستان فى « أدولف » ، وشاتوبريان فى « رينيه » !

ولقد قلنا إن مشكلة التفكير الإنسانى فى المصير وما يتعلق بها من بحث حول « شرعية » الثواب والعقاب مشكلة قديمة ، ومما لا شك فيه أنها قدسبقت بقدمها أفكار هؤلاء الذين تعرض لهم الدكتور فى حديثه وخص منهم بالذكر شاعرين هما بيرون وأبو العلاء . . وإذن فلا مبرر للتساؤل عما إذا كان على طه قد تأثر بهذين الشاعرين فى قصيدة « الله والشاعر » لأن الأمر أوضح من أن يحتاج إلى سؤال !

إن المشكلة قديمة وجديدة فى وقت واحد لأنها مشكلة الأمس واليوم والغد القريب والبعيد ، مادامت هناك فترات قلق تمر بحياة الإنسانية المفكرة الشاعرة وتدفعها إلى إطالة التفكير فيما وراء هذه الحياة . . هل نحن مسيرون ؟ هل نحن مخيرون ؟ هل نحن أصحاب إرادة فيما نقدم عليه من عمل أم أننا مجرد أدوات بين يدى قوة خفية توجهها كيف تشاء ؟ أسئلة تعرضت لها الأجيال الماضية وتتعرض لها الأجيال الحاضرة وسوف تتعرض لها الأجيال المقبلة مابقى هناك فكر يبحث فى المصير وما يرتبط به من جزاء ! وإذن فلا عجب إذا ما التقت أفكار الشعراء الثلاثة حول هذا المعنى الكبير فى بعض ما خلفوا من آثار أدبية ؛ آثار تتفق فى جوهر المشكلة ولكنها تفترق فى صب التجربة الشعورية فى القالب الفنى تبعا لاختلاف المعدن النفسى وما يقترن به من تفاوت فى معدن التعبير . . . إنه اتفاق فى جوهر المشكلة كما قلنا وعامل الإثارة واحد لا اختلاف عليه ، ونعنى به القلق الذى يهز النفوس والعقول ويدفعها دفعا إلى محاولة الغوص فى أعماق المجهول . قلق عند بيرون وقلق عند على طه وقلق عند أبى العلاء ، ولكن مصدر هذه الظاهرة النفسية يختلف عند الشاعر الأول عنه عند الشاعرين الأخيرين ، حين تفسره عند بيرون بأنه فراغ الحياة من العطف وحده وحين تفسره عند صاحبيه بأنه فراغ الحياة من العطف والعاطفة .. لقد عاش بيرون فى مجتمع حرم فيه عطف الناس فثار حينا على الله والناس ، وعاش أبو العلاء كل حياته وهو محروم من نعمة الشعور بالعطف الإنسانى وبالعاطفة الأنثوية ، وكذلك كان الأمر بالنسبة إلى على طه ولكن فى فترة محدودة من فترات الحياة ، ومثل هذا الحرمان كفيل بأن يهز سكينة النفوس والعقول !

أنور المعداوى

٣ – على هامش الدفاع عن الشرق الأوسط

للدكتور عمر حليق

العوامل الاقتصادية في سياسة توازن القوى

ألمت بالوضع الدولى إبان بعث سياسة توازن القوى عوامل اقتصادية هامة وللاقتصاد فى توجيه السياسة العالمية شأن كبير

فى أعوام ١٩٤٧ — ١٩٤٩ أخذ الاقتصاد الأمريكى خاصة والاقتصاد الأوروبى (خارج الاتحاد السوفييتى) يمر فى نكسات وضائقات اقتصادية لينة . فى أمريكا كان الاقتصاد القومى فى سنوات الحرب قد توسع بصورة هائلة . فازداد عدد المصانع وتضاعف إنتاجها إلى أرقام فلكية وأصبحت مقدرة السوق الأمريكى على استهلاك المنتجات الأمريكية محدودة مقيدة والسوق الأمريكى هو المستهلك الرئيسى للانتاج الأمريكى

وكانت الوضعية الاقتصادية فى شعوب أوروبا الغربية مزعزعة بسبب الخراب الواسع الذى ألم بذلك الجزء من العالم من جراء الحرب العالمية الأخيرة

وفى آسيا وأمريكا اللاتينية أخذ الوعى الاقتصادى يزداد نموا ويدفع الحكومات والشعوب لأن تلجأ إلى سياسة الاستكفاء الذاتى لتتفادى عودة الاستعمار بألوانه العديدة الاقتصادية والسياسية ، ولذلك أصبحت مقدرة الشعوب الآسيوية واللاتينيه على استهلاك المنتجات الأجنبية محدودة مقيدة ، وذلك لأن الميزان التجارى فى دول آسيا وأمريكا اللاتينية يعتمد على تصدير المواد الخام إلى الدول الصناعية فى أوروبا وأمريكا الشمالية ليحصل مقابلها على عملة أجنبية تعينه على استيراد السلع والمنتجات الصناعيــة وأصنــاف التبادل التجارى الأخرى . فإذا أصيب النشاط الصناعى فى أوروبا وأمريكا الشمالية بنكسة فإن حاجته من المواد الخام ستتضاءل ، ومن ثم يتضاءل مورد الدول المصدرة للمواد الخام (ومعظمها فى آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية) ، والاقتصاد الدولى الحر حلقة متشابكة الأطراف إذا وهن بعض أجزائها تعرض الكل إلى الوهن

ولم تكن النكسة الاقتصادية العالمية مقصورة على أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية — وبالتالى على آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية — بل إنها شملت الاتحاد السوفييتى نفسه ومنطقة النفوذ السوفييتى كذلك . ومثال ذلك سعى روسيا للسيطرة على الاتحاد اليوغسلافى وسعى يوغسلافيا للتحرر من هذه السيطرة وما أدى هذا الصراع إلى قطيعة سياسية تامة بين البلدين

إلا أن أخطار الضائقات الاقتصادية العالمية تختلف باختلاف المناطق والشعوب والنظم الاقتصادية والاجتماعية التي يعيش عليها الشعوب والحكومات

فى ظل الحكم المطلق — خصوصا إذا كانت التعاليم الاشتراكية وفلسفة الاقتصاد المنظم ديدنه يسهل على الدولة أن تضبط التيارات الاقتصادية العاصفة وإن كان ذلك على حساب الحرية الفردية للكثرة الساحقة من الشعب

وفى البلدان الآسيوية والإفريقية واللاتينية التى لم يكتمل بعد نموها الاقتصادى تكون أضرار الضائقات الاقتصادية مقصورة إلى حد بعيد على برامج الإنشاء والتعمير ، فاقتصاديات هذه البلدان اقتصاديات غير معقدة ، ومستوى المعيشة بها زهيد على مستوى ضئيل ، ومهما ألمت أضرار النكسات الاقتصادية العالمية بهذه البلدان فإنها لن تؤثر إلا تأثيرا محدودا فى مستوى المعيشة ، ولما كان هذا المستوى ضئيلا ممعنا فى الضآلة فإن هذا التأثير لن يزيده ضآلة ، فليس فى ذلك المستوى بعد مجال للتضاؤل ، وإذا استثنينا حالات المجاعات والقحط فى بلدان كالهند والصين مثلا فإن معظم المجتمعات الزراعية (كالمجتمعات الآسيوية مثلا) تستطيع فى فترات الضائقة الاقتصادية العالمية أن تحتفظ برؤوسها عائمة فوق الماء

أما وضعية المجتمعات فى أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية

خلال النكسات والضائقات الاقتصادية الشاملة فإنها تكون معرضة لأخطار جسيمة

ففي إبان النكسة الاقتصادية الخطيرة التي ألمت بالولايات المتحدة الشمالية وبأوروبا الغربية في أعوام ١٩٤٨ — ١٩٤٩ كان على الدول والشعوب هناك أن تختار واحداً من احتمالات معينة لصيانة نفسها من الفوضى الاقتصادية والإفلاس التام

وأحد هذه الاحتمالات أن تسرع الدولة فتسن التشريعات وتطبق رقابة شديدة على الإنتاج الصناعي والنشاط الاقتصادي بأسره، وأن تحدد الإنتاج وتعين الأسعار وتقيد التصدير والاستيراد بشكل يحول الدولة الديمقراطية إلى نظام اشتراكي لأولي الحكم فيه سلطة واسعة قد تتسع فتصبح نوعاً من الحكم المطلق. وهذا ماحاولت حكومة العمال في بريطانيا تطبيقه فلم تفلح طويلا بسبب طبيعة السلوك السياسي للشعب البريطاني وتأصل الوعي الديمقراطي فيه، وبسبب تعقد المشاكل الاقتصادية في بريطانيا بشكل لا يسمح بتطبيق برامج الاقتصاد المنظم والاحتفاظ بالحرية الديمقراطية في آن واحد

وثاني هذه الاحتمالات تخفيض مستوى المعيشة بين السكان بتخفيض الدخل القومي للعامل ولصاحب العمل والرجوع بألوان الحضارة المادية القهقرى ووضع حد للتقدم الآلي وتوجيه الشعب نحو التقشف والتخلي عن أسباب الترف. والمتعة التي أصبحت جزءاً أساسياً من طبيعة المعاش الذي يعيش عليه الناس في العالم الغربي إجمالا وفي الولايات المتحدة على وجه العموم. وقد استطاعت بريطانيا أن تطبق جزءاً من هذا الاحتمال فيما يتعلق بمسألة الدخل القومي ومسألة التقشف إلا أن حكومة العمال البريطانية فشلت في ذلك لأن السياسة الاقتصادية التي اتبعتها في بريطانيا كانت تواجه عقبات جسيمة بعضها راسخ في صميم الوضع الاقتصادي البريطاني والبعض الآخر ناجم عن المنافسة الشديدة التي لقيتها بريطانيا في أسواقها التجارية التقليدية سواء جاءت هذه المنافسة من أمريكا أم من سياسة الاستقلال الاقتصادي والاستكفاء الذاتي التي أخذت تتبعها البلدان الآسيوية والإفريقية واللاتينية التي كانت فيما مضى منطقة نفوذ اقتصادي لبريطانيا

أضف إلى ذلك كله أن أي دعوة إلى تخفيض مستوى المعيشة سيتطور إلى سلاح في يد الحركة الشيوعية التي تتخذ تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية دلالة على فشل النظم الديمقراطية « الأوروبية والأمريكية »

وثالث هذه الاحتمالات تجديد الحروب الاستعمارية وقيام الدول الصناعية الكبرى بغزو البلدان المتخلفة والسيطرة على الأسواق التجارية الرابحة في الشرق والغرب، وهذا الاحتمال بعيد المنال نظراً ليقظة الشعوب وتيقظ القوميات وحيوية التحرر من الاستعمار في كل مكان

ورابع هذه الاحتمالات أن تتكتل الدول الصناعية الكبرى تكتلا اقتصاديا تاما شاملا وتوزع فيما بينها الأسواق المالية توزيعا يستند إلى اتفاقات ثابتة بين الدول المتكتلة، وقد نجح الاتحاد السوفييتي إلى حد بعيد في سياسة التكتل الاقتصادي في منطقة نفوذه في أوروبا الشرقية والبلقان والبلطيق وبعد ذلك في الصين وآسيا الوسطى — منغوليا وسينكيانغ

أما دول أوروبا الغربية فقد وجدت نفسها لا تستطيع أن تجهر بهذه الرغبة لأسباب عديدة منها تفوق أمريكا الصناعي الهائل على بريطانيا وفرنسا وخسارة هولندة لجزر الهند الغربية (إندونيسيا)، فمصانع أوروبا الغربية القديمة المنهوكة لعب أطفال بالقياس إلى المؤسسات الصناعية الأمريكية، وجودة الإنتاج الأمريكي وتنوعه وروفقة إعلاناته شيء لم تعرف الصناعات الأوروبية في بلادها له مثيلا. ومقارنة السيارات الأمريكية بالسيارات البريطانية والفرنسية مثل على ما نحاول به شرحه هنا

ولذلك فلم يكن لدى الصناعة الأوروبية ما تستند إليه لتساوم أمريكا على اقتسام الأسواق المالية — هذا فضلا عن أن الأمريكي تاجر لا يرحم، والمنافسة هي عماد النشاط الاقتصادي في أمريكا وتموذج راسخ في السلوك الأمريكي رسوخ عادات الأكل والشرب والنوم

ويبدو أن الاحتمال الأخير (وهو توزيع الأسواق المالية) قد صادف هوى في نفوس الأمريكان ولكنهم احتاطوا له بشكل

دقيق بحيث يوفر لهم حصة الأسد فى أية مساومة يقومون بها مع دول أوروبا الغربية

وفعلا شهدت السنوات الأخيرة توسعا اقتصاديا أمريكيا جم النشاط ولكنه فى أغلب الحالات على حساب دول أوروبا الغربية وعلى الأخص بريطانيا وفرنسا وهولنده وبلجيكا ، وقد ساعد أمريكا على هذا التوسع الاقتصادى كونها مسيطرة على مقدرات ألمانيا واليابان وهما عنصران هامان فى ميدان التنافس التجارى الدولى

وفى الشرق الأقصى حلت أمريكا محل اليابان وهولنده فى سوق إندونيسيا والفلبين ومحل بريطانيا إلى حد ما فى أسواق الملايو وأصبحت المشترية الرئيسية للمطاط والقصدير هناك

وفى الشرق الأوسط قصة التوسع الأمريكى فى البترول معروفة للجميع ، وكان من المقدر لبريطانيا أن تحقق هذا التوسع لنفسها لولا قوة المنافسة الأمريكية والظروف الأخرى التى صاحبت الوضع الاقتصادى فى عالم ما بعد الحرب فى بريطانيا

وفى أمريكا اللاتينية تلاشى تدريجيا نفوذ بريطانيا التجارى هناك بعد أن تلاشى قبله نفوذ ألمانيا وأصبحت هذه القارة منطقة نفوذ تجارى وسياسى للولايات المتحدة الأمريكية

وفى شمالى إفريقيا العربية توطد للأمريكان نفوذ اقتصادى طويل عريض بلغ من الأهمية بحيث اضطرت فرنسا أن تخاصم أمريكا عليه أمام محكمة العدل العليا (١)

وفى أواسط إفريقيا تسرب رأس المال الأمريكى إلى مستعمرات بلجيكا الغنية بالمعادن الثمينة ومنها معدن الأورانيوم الصالح لإنتاج الطاقة الذرية

واستطاعت الولايات المتحدة الأمريكية بفضل هذا النشاط الاقتصادى الواسع أن تدفع مؤقتا عن نفسها أخطار النكسة الاقتصادية الأخيرة التى ألمت بالاقتصاد الأمريكى فى أعوام ١٩٤٧ — ١٩٤٨ — ١٩٤٩

وكان لا بد لهذا التوسع الاقتصادى الهائل من أن يفرض على الولايات المتحدة الأمريكية مسؤوليات سياسية ودبلوماسية من النوع الدقيق والخطير

ومع أن فكرة التكتل الاقتصادى بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين دول أوروبا الغربية لم تتبلور فى شكل قانونى (سرى أو علنى) إلا أن انسياق الأموال الأمريكية الخاصة والنشاط الاقتصادى الأمريكى إلى مناطق النفوذ البريطانى والفرنسى والهولندى والبلجيكى قد فرض على أمريكا مسؤولية فعلية فى صيانة النظم السياسية التى تعيش عليها هذه الدول الأوروبية . أضف إلى ذلك صيانة أوروبا الغربية من أخطار الانقلابات الشيوعية سيضمن لأمريكا حلفاء أوفياء يكونون سندا للمبادئ والأيديولوجية السياسية التى يعيش عليها المجتمع الأمريكى ؛ ففى تعزيز النظم الديمقراطية لدول أوروبا الغربية تعمير لأسواق تجارية حسنة تستهلك من الإنتاج الأمريكى أضعاف ما تستهلكه البلدان المتخلفة التى لم يكتمل بعد نموها الاقتصادى كبلدان آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية — فهذه البلدان المتخلفة هى على العموم مصدرة للمواد الخام وليست مستهلكة إلا كجزء محدود من المنتجات الأمريكية الجاهزة

ومن هذه الصورة الاقتصادية والسياسية والأيديولوجية الشاملة تكونت فكرة المساعدات الأمريكية المالية للدول الأوروبية التى عرفت بمشروع مارشال (٢)

و خير أن نفكر مليا فى مشروع مارشال لأن صلته بتطور فكرة الدفاع المشترك وحلف الأطلنطى ومسألة الدفاع عن الشرق الأوسط صلة وثيقة

مشروع مارشال

يقول البرفسور جون وليامز أحد كبار الاقتصاديين (فى البلدان التى لم يكتمل بعد نموها الاقتصادى فى آسيا وإفريقيا

(١) — رفعت فرنسا فى ١٠ يوليو ١٩٥٢ قضية أمام محكمة العدل العليا الدولية أتهمت فيها حكومات الولايات المتحدة الأمريكية بفرض حماية اقتصادية على مراكش

(٢) — الجنرال جورج مارشال وزير خارجية الولايات المتحدة الذى كان أول من أعلن ميلاد هذه الفكرة رسميا من خطاب له فى حفلة توزيع الإجازات الدراسية فى جامعة هارفرد الأمريكية الشهيرة . ثم صيغ إعلانه فى الكنغرس الأمريكى فى (قانون التعاون الاقتصادى الأوروبى) إبريل سنة ١٩٤٨

الأمريكان ورئيس الجمية الاقتصادية الأمريكية ومستشار البنك الأمريكي المركزي ومندوب حكومة الولايات المتحدة الأمريكية في عدة مؤتمرات دولية : إن الهدف الرئيسي لمشروع مارشال هو تنفيذ برنامج عملي لاستثمار رؤوس الأموال . وهدف هذا المشروع ليس فقط بناء ما دمرته الحرب في أوروبا وإنما زيادة الإنتاج والنشاط الاقتصادي في أوروبا الغربية والشمالية بحيث تتمكن دولها من أن تحفظ الميزان التجاري مستقيما . وهذا يعني مساعدة دول أوروبا الموالية للولايات المتحدة الأمريكية على زيادة الدخل الحقيقي للفرد وللدول الأوروبية ، وهذه الزيادة تشجع الفرد والحكومات هناك على مضاعفة استهلاكه للمنتجات والسلع وتوفر للشعب والدول فرصة لادخار رأس المال اللازم للاستثمار في الاقتصاد المحلي (في الدول الأوروبية) وفي الاقتصاد الأجنبي وأمريكا اللاتينية) (٢)

وهذه الأهداف تتمشى مع الصورة التي رسمناها عن الوضعية الاقتصادية في أمريكا وأوروبا وبقية أجزاء العالم (خارج الاتحاد السوفييتي) وهي صورة تشير إلى اختمار فكرة التكتل الاقتصادي بين الدول الصناعية الكبرى تحفظ للأمريكان حصة الأسد وتساعد الدول الأوروبية على ملاقاة نكساتها الاقتصادية مستعينة بزميلة كبرى هي الولايات المتحدة الأمريكية

وجدير بالذكر أن فرنسا كانت أكثر الناس حماسة لمشروع مارشال ، بل الواقع أن فرنسا كانت أول من نال مساعدات مالية سخية من الولايات المتحدة الأمريكية وذلك في عهد ليون بلوم اليهودي رئيس وزراء فرنسا في السنوات الأوائل التي أعقبت الحرب العالمية الثانية

ومن الطبيعي أن تتحمس فرنسا لهذا المشروع ، ففرنسا هي الدولة الوحيدة من دول أوروبا الغربية التي رفضت اتباع أي احتمال من الاحتمالات العديدة التي واجهتها دول أوروبا الغربية في عالم ما بعد الحرب ، فهي لم تقلد بريطانيا فتنفذ لوناً من برنامج الاقتصاد الاشتراكي المتدل ، ولم تتبع سياسة التقشف والمراقبة الدقيقة التي فرضتها بريطانيا بالاستمرار في استغلال الأسواق المتوفرة لها في المستعمرات الفرنسية — ولفرنسا اليوم ممتلكات خارجية تفوق ما لأي دولة استعمارية أخرى

ولتعلق بأذهاننا هذه الحقيقة — وهي حماس فرنسا الشديد لمشروع مارشال وما استتبع هذا الحماس من نشاط فرنسي لتنفيذ الحلف الأطلنطي والاتحاد الأوروبي للنقد ، ومشروع مارشال ، ومشروع بليفان للجيش الأوروبي كما سنأتي على استعراضه فيما بعد

وهنا يجدر بالباحث أن يفسر حماس أمريكا لمشروع مارشال ولفكرة المساعدات المالية للدول الخارجية إجمالا . وهذا التفسير لا يكون إلا بالتعرف على الفلسفة الاقتصادية النظرية والعملية التي يعيش عليها الشعب الأمريكي . وهي فلسفة «جورج مينارد كينز» الاقتصادية منذ عام ١٩٣٠ حتى الآن

(البحث صلة) نيويورك عمر حليق

(٢) — راجع بحثي سوبين لبرنـور وبالميز في مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية عددى ابريل سنة ١٩٥٠ ويوليو سنة ١٩٥٢ عن مشروع مارشال

٣ ـ الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

الخريطة:

وتسمى أيضاً « الربابة » بكسر الراء ، وهى وعاء من الجلد مثل كنانة سهام الرمى ، توضع فيها القداح . وهى واسعة ليمكن استدارة القداح فيها واستمراشها ، ولها فم ضيق بقدر أن يخرج منها قدحان أو ثلاثة[١] ، أو بعبارة أصح يمكن أن يضيق ويوسع بخيط يشد فيه ، بحيث لا يسمح فى حالة التضييق لخروج أكثر من ثلاثة أقداح

الحرضة

بضم الحاء ، ويسمى أيضا « المجيل » و « المفيض » و « الضارب » ، وهو الرجل المكلف بتقليب السهام فى الخريطة ثم دفعها من فم الخريطة . وكانوا يلفون يده بقطعة من جراب ، لئلا يجد مس قدح يكون له مع صاحبه محاباة . ويشدون عينيه بعصابة ليحولوا بينه وبين رؤية القداح[٢]

والحرضة هو الذى يستل السهم بعد أن يبرز وينشز ، ويسلمه للرقيب دون أن يراه

ولا يكون الحرضة إلا ساقطا برما ، يدعونه بذلك لرذالته وسقوطه

قال أبو الهيثم [٣] : الحرضة : الرجل الذى لا يشترى اللحم ولا يأكله بثمن إلا أن يجده عند غيره

الرقيب

ويسمى أيضا « رابئ الضرباء [٤] » . ويختار فى العادة من الأمناء الموثوق بهم من الرجال ، وواضح أن مهمته هى مراقبة « الحرضة » وإدارة رحى الميسر . ويكون مجلس الرقيب خلف الحرضة ، ليتمكن من مراقبته . وهو الذى تسلم إليه السهام بعد خروجها ليعلم من صاحبها وليعلن اسمه حينما يفوز ، كما أنه يرد السهام الأغفال إن خرجت مرة ويعيدها إلى الربابة ، ويأمر الحرضة بجلجلة الأقداح وإفاضتها حتى يخرج سهم آخر من قداح الحظ

وإفاضة الأقداح : أن يدفعها دفعة واحدة إلى الأمام ليخرج منها قدح أو أكثر

مجلس الميسر

هو نادى القوم يجتمعون فيه فى ليل الشتاء ، وقد أوقدوا نارا وأحضروا جزورهم ونحرها الجازر وقسمها عشرة أجزاء ، بعد أن ترك لصاحب الجزور « الثنيان » وهو ما استثنى لنفسه من الرأس والأطراف فى غالب الأمر ، وبعد أن حفظ لنفسه « الريم » ، كما سبق القول عند الكلام على الجزار

١ — ويحضر الحرضة ومعه الخريطة والقداح ، وحينئذ يتبارى رءوس القوم وأشرافهم فى أخذ القداح، فأعلاهم قدرا هو من يأخذ « المعلى » ذا الحظوظ السبعة ، وأقلهم شأنا هو صاحب « الفذ » الذى له حظ واحد

وذلك أن نظام الميسر مبنى على قاعدة الغنم بالغرم ، أى أن من يتعرض لأخذ أكبر السهام حظا يكون لديه استعداد أن يغرم أكبر الغرم حينما يخيب حظه ، إذ أن الغرم يتناسب تناسبا مطردا مع الغنم . وأما صاحب الفذ فهو إن فاز بحظ واحد ، وإن خاب تحمل مغرم حظ واحد

٢ — وبعد أن يختار القوم سهامهم ويسجلها عليهم الرقيب [٥] توضع هذه السهام ذوات الحظ فى الخريطة ومعها السهام الأغفال الثلاثة التى لا حظ لها

٣ — ويؤتى بالحرضة ، وهو المكلف بإجالة القداح فى الخريطة ، ثم يؤخذ ثوب شديد البياض فيلف على يده، ويسمى ذلك الثوب « المجول » . وإنما يجعل ذلك الثوب على يده ليمشى

(١) الميسر والقداح ١٣٢
(٢) الميسر والقداح ١٣٠
(٣) اللسان (حرض)
(٤) الضرباء : جمع ضريب ، وهو ضارب القداح الموكل بها . والرابئ والربيئة هو الرقيب

(٥) وأحيانا يختار الياسر اسما لقدحه غير الاسم المتداول ، تدليلا له ، كأن يسميه « المربوع » أو « المذار » ، مع احتفاظه بسمة الأصل . الميسر والقداح ٥٦ — ٥٧

بصره فلا يعرف قدح زيد دون عمرو . هذا بعد أن تلف يده بقطعة من جراب ، مبالغة فى الحيطة . وأحيانا يعصبون عينيه ويلفون يده . وتعصب الخريطة على يدى الحرضة

٤ — ويجلس خلفه الرقيب وقد استدار الأيسار حوله ، ومن خلفهم جمهور النظارة يشهدون ما يكون من ذلك ، وفى هـذا الجمهور طائفة الفقراء ، الذين يحملون بؤسهم فى جهد وإعنات ، تدور أعينهم فوق كومات اللحم ، وتشرئب أعناقهم وأسماعهم نحو الحرضة والرقيب

٥ — وبعد أن يكتمل المجلس يصـدر الرقيب أمره إلى الحرضة أن يجيل القداح وأن يجلجلها فى الخريطة ، فيفعل ذلك مرارا ، فإذا فعل أمره أن يفيض القداح ، أى أن يدفعها إلى فم الخريطة

٦ — وحينئذ يبرز أحد القداح فيستله الحرضة ، وهو إن كان غير معصوب العين لم ينظر إليه فى هذه الحالة ، ثم يناوله الرقيب ، وتحدث عندئذ ضجة من الرقيب يعلن فيها اسم الفائز ، يصيح بأعلى صوته : هـذا قدح فلان ، أو فاز قدح فلان . ذكر ذلك الخليل فى تفسير قول أبى ذؤيب :

وكأنهن ربابة وكأنه يسر يفيض على القداح ويصدع

— فإذا فاز أحدهم أخذ نصيبه واعتزل القوم فأفاض الباقون على بقية الجزور ، فإن شاء ذلك الفائز أن يعود بقدحه سألهم ذلك ، فإن أحبوا إجابته أجابوه وردوا قدحه معهم واستؤنفت الإفاضة . ويعد هذا العمل مكرمة لصاحبه الفائز الذى يأبى أن يظفر ذلك الظفر السهل ، ويأبى إلا أن يعرض نفسه للغرم الذى جانبه فى أول الأمر

ويسمون هذا العمل « التثنية » ، وهو الذى عبر عنه النابغة الذبيانى يمثنى الأيادى فى قوله :

أنى أتمم أيسارى وأمنحهم مثنى الأيادى وأكسو الجفنة الأدما(١)

٨ — وإذا ظهر سهم من السهام الأغفال أمر الرقيب الحرضة بإعادته فى الخريطة ، ومعاودة الجلجلة والإفاضة حتى يظهر سهم ذو حظ

ولا يكف الحرضة والرقيب عن هـذا العمل حتى يكون مجموع أنصباء السهام الخارجة عشرة أنصباء على الأقل

الغنم والغرم

ليس نظام الغنم والغرم فى الميسر نظاما ساذجا ، بل هو نظام محـكم يدل على ما كان يتمتع به أسلافنا العرب من ذهن وقاد ، وفكر ناضج

وإليك بعض النماذج من أقضية الميسر ، وأحكام العرب فى مغانمها ومغارمها ، وسأعيد هنا ذكر قائمة المغانم والمغارم ليسهل للعرض تطبيق الأحكام عليها :

ا — صاحب الفـذ ، ونصيبه فى الغنم والغرم (١)
ب — » التوأم ، » » » » (٢)
ج — » الرقيب ، » » » » (٣)
د — » الحلس ، » » » » (٤)
هـ — » النافس ، » » » » (٥)
و — » المسبل ، » » » » (٦)
ز — » المعلى ، » » » » (٧)

(القضية الأولى)

خرج قدح (ا) ثم قدح (ب) ثم قدح (ج) ثم قدح (د) ومجموع أنصباء هذه القداح عشرة ، وبذلك يكون الميسر قد تم فكل واحد من أصحابها يأخذ نصيبه ، فيأخذ (ا) عشرا ، و(ب) عشرين ، و (ج) ثلاثة أعشار ، (د) أربعة أعشار ، ويعتزل كل منهم الميسر غانما ، ويبقى الثلاثة الغارمون الذين يضمنون ثمن الجزور ، وهم (هـ) ، و (و) ، و (ز) . ولنفترض أن ثمن الجزور ٧٢ دينارا ، فتفرض عليهم بالتناسب العددى ، أى بنسبة ٥ : ٦ : ٧ فيغرم (هـ) ٢٠ دينارا ، و (و) ٢٤ دينارا ، و(ز) ٢٨ دينارا

(القضية الثانية)

خرج (ب) و (ج) و (هـ) فائزين ومجموع حظوظهم ٢ ، ٣ ، ٥ أى عشرة حظوظ ، وبذلك تم الميسر ، فيأخذ كل منهم نصيبه ويعتزل ، ويبقى الغرم على (ا) ، (د) ، (و) ، (ز) ونسبة مغارمهم ١ : ٤ : ٦ : ٧

ولنفترض أيضا أن ثمن الجزور ٧٢ دينارا ، فيغرم (ا) ٤ ، (د) ١٦ دينارا ، (و) ٢٤ دينارا ، (ز) ٢٨ دينارا

(١) الميسر والقداح ١٥٢

(القضية الثالثة)

خرج فى أول الإفاضة قدح صاحب (المعلى) ، ونصيبه ٧ فاستولى عليه واعتزل ، ثم خرج قدح صاحب (المسبل) وحظه ٦ مع أنه لم يبق من أجزاء الجزور بعد المعلى إلا ٣ تتمة العشرة ، فيأخذ صاحب المسبل الثلاثة الأجزاء الباقية بعد نصيب صاحب المعلى ، ويغرم له القوم الذين لم تخرج سهامهم ثمن ثلاثة أعشار الجزور ، استكمالا لحظه ، وتكون غرامتهم فى ذلك متناسبة مع نسبة أنصبائهم فى الغنم لو غنموا

ويغرم القوم الخائبون أيضا ثمن الجزور ، متناسبة غرامتهم مع نسبة أنصبائهم أيضا

وهذا الحكم السهل فى أمثال هذه القضية الأخيرة ، هو الذى ذكره ابن قتيبة . وإنما يلجأون إليه ويرتضونه إذا لم يمكنهم نحر جزور ثانية

فإذا أمكنهم نحر جزور ثانية فإنهم ينتظرون بسائر القداح لا يخرجون منها شيئا بعد أن ظفر صاحب المعلى ، لأنه إن خرج المسبل لم يجد له حظا كاملا ، لأن حظه ستة أجزاء ، مع أن الباقى من الأجزاء ثلاثة

وحينئذ يقفون الإخراج ويعدون جميع الأيسار خائبين ، إلا صاحب المعلى ، ويلزمونهم الغرم فى الجزور الأولى بحسب أنصبائهم من جهة ، ثم يخلقون لهم جميعا فرصة فى جزور أخرى ، فينحرونها ويجزئونها أعشارا ، ثم يضربون عليها بالقداح ، فإن خرج (المسبل) أخذ صاحبه ستة أجزاء : ثلاثة منها هى الباقية من الجزور الأولى ، وثلاثة من الجزور الثانية . فإن استوى ثمن الجزورين كان صاحب المسبل كأنه لم يغرم شيئا ولم يغنم شيئا لأنه غرم ستا وغنم ستا ، فتعادل ماله وما عليه

وبقى من الجزور الثانية بعد المسبل سبعة أجزاء ، تضرب عليها سائر القداح ، فإن خرج (النافس) أخذ صاحبه خمسة أجزاء من السبعة الباقية ، فبقى جزءان

وفى هذه الحالة يبقى قدح حظه أكبر من الجزءين ، وهو (الحلس) ، وله أربعة أجزاء ، فيعدون صاحبه خائبا فى الجزور الثانية يلزمه الغرم فيها بمقدار حظه متضامنا مع سائر الخائبين ، فيتيحون له الفرصة فى نحر جزور ثالثة ، فإن خرج غنم أربعة أجزاء : اثنان من الثانية ، واثنان من الثالثة . فإن استوى ثمن الجزورين كان كأنه لم يغرم شيئا ولم يغنم شيئا

وبقى من الجزور الثالثة ثمانية أجزاء ، يضرب عليها بالقداح من بقى حتى تخرج قداحهم موافقة لأجزاء الجزور ، وحتى لايحتاجوا إلى نحر جزور أخرى ، استكمالا لنصيب متوقع لأحدهم

* * *

هذا هو الدستور الذى سنه العرب لنظام الميسر ، وهو كما ترى وليد طباعهم وعاداتهم ، ووليد حاجتهم البدوية

ولا ريب أن « الميسر » كان نافعا للعرب ، كان نافعا لذوى الحاجة منهم ، لأن العرب فى أكثر ما يقامرون إنما يعنون بذلك نفع الفقراء ، والتوسيع على المحتاجين المعوزين ، وقل أن يطعم الأيسار من لحم الميسر ، وإنما كانوا يفرقونه فى البائسين . زد إلى ذلك ما كان يحدثه الميسر من رواج فى سوق الإبل وبيعها وشرائها

ذكر الواقدى أن الواحد منهم ربما قمر فى المجلس الواحد مائة بعير ، فيحصل له مال من غير كد وتعب ، ثم يصرفه إلى المحتاجين فيكتسب منه المدح والثناء(٧)

ولا ريب أيضا أن الميسر كان ضارا للعرب ، فهو أكل مال بالباطل ، وهو كان يدعو القامرين كثيرا إلى السرقة واغتصاب الأموال والنفوس ، للحصول على فوز رخيص فى ذلك المضمار ، وهو كان مجلبة عظيمة للمداوات والحزازات بينهم ، التى تثيرها المنافسة وحب الذات . وكانت مجالس الميسر مجالا فسيحا للمنازعات والمهاترات ، وميدانا خصبا للهجاء والشتم والإقذاع . هذا إلى ما يكون من إنفاق زمانهم فى سخاء ظاهر ، فيما يشغلهم عن غيره من جلائل الأمور ، والسعى لاكتساب الرزق من شريف الأبواب

ومفاسد الميسر فى عصرنا الحاضر واضحة وضوحا تينا ، مهلكة إهلاكا للنفوس والضمائر ، قاضية على هناءة الأسرة وترابط الجماعة

وصدق الله العظيم إذ يقول : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس » ، وإذ يقول : « وإثمهما

(٧) الفخر الرازى (٢ : ٢٢٩)

أكبر من نفعهما »

وقد أتى الإسلام فى ذلك بعلاج ناجع ، علاج يجتث البؤس من أصله ، ويقتلعه من أرومته ، هو نظام « الزكاة » تؤخذ من الغنى فى رضاً من دينه ، وتعطى للفقير فى كرامة من نفسه

« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصل عليهم ، إن صلاتك سكن لهم » . « وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون »

للكلام بقية

عبد السلام محمد هارون

محنة الأدب فى مصر

للأستاذ منصور جاب الله

إن محنة الأدب فى مصر إنما تتجلى فى هذه الضائقة التى يكابدها الأدباء ، والأدباء المصريون بوجه خاص ، فلقد أتى على مصر حين من الدهر كانت فيه ملتحدا لأدباء العروبة وملاذا للناطقين بالضاد فى سائر الأقطار

ولقد أينعت شجرة الأدب فى مصر ، وتشابكت أغصانها وتهدلت أفنانها ورفت ظلالها حتى كادت تسع الناس جميعا ، ثم إذا بهذه الشجرة الفينانة تذوى أغصانها وتتزايل ظلالها فإذا نحن من الأدب فى صحراء جرداء !

ومنذ بضعة عشر عاما سألنا شيخا من شيوخ الأدب هو المرحوم السيد مصطفى صادق الرافعى عن سبب تمسكه « بوظيفته » الصغيرة فى محكمة طنطا ، وقلنا له : هلا احترفت الأدب وحده ؟ إذن لجنيت من ورائه الذهب النضار ! وضحك الأديب العظيم وهو يقول : هيهات ذهب ما هنالك ... لو اقتصر عملى على الأدب وحده إذن لمتّ جوعا ، ولما كان لى هذا الاسم المدوى الذى يطالعك فى الصحف صباح مساء !

ولقد حسبنا الأستاذ الرافعى يومها جانحا إلى المغالاة ، أو مائلا إلى ناحية المزاح حتى قام على ما يقول من صميم الواقع شهيد وبصرنا بأدباء من الفحول قصروا جهدهم على الأدب فكان الجوع لهم مشربا وأداما

وقلنا مرة لشيخنا الأستاذ عبد العزيز البشرى — رحمه الله — وهو فى أوج شهرته ومجده : إن أمهات الصحف تتراكض خلفك تستكتبك المقال بكذا وكيت ، وعملك الحكومى يحول بينك وبين كثير من وجوه الرأى التى قد لا تأمن حين إبدائها جوانب الزلل ، فإذا أنت تنحيت عن المنصب الحكومى ، أمنت ما كنت تخاف ، وأقبلت عليك جميع الصحف مشتاقة تجرر أذيالها

وأطال الشيخ البشرى الصمت ثم أقبل على يقول فى مرارة : يابنى إن الصحافة إنما تقبل على لأننى فى غنى عنها ، فإذا ما احتجت إليها فسوف تزور عنى ازورارا وتنفر منى نفارا . إن الصحافة — مثلها مثل الدنيا — تقبل على من لا يريدها ، وتطوى كشحا عن مريدها !

ووالله لقد صدق صديقنا البشرى فيما قال ! وإن كاتب هذه السطور لم يتعظ بنصح الخريت المجرب فوقع فى المحظور ودفع الثمن باهظا غاليا

وتحرير الخبر أننى حين كنت (موظفا) حكوميا استكتبتنى صحيفتان كانت لهما مكانة وكان لهما قراء ، وكان الأجر الذى أتقاضاه منهما مجتمعتين يفوق أجرى من (الوظيفة) فطوع لى ذلك أن أهجر العمل الحكومى — بإغراء من إحدى الصحيفتين — فهل يعرف القارئ ماذا حدث بعد ذلك ؟

أدركت الجريدة الأولى أنه لم يعد لى عمل حكومى ، وأن ظهرى أصبح غير مسنود ، فحملتنى على ترك العمل بها ، ولم آس على ذلك كثيراً فقد كان الأجر الذى آخذه من الصحيفة الأخرى كافيا ، بيد أنه لم يمض على هجرى الصحيفة الأولى إلا بضعة أشهر حتى بدا للجريدة الأخرى أن تستغنى عن « خدمتى » وكذلك أصبحت فارغا من العمل فى فترة لا تبلغ العام منذ أن استقلت من الوظيفة الحكومية . وأدركت عندئذ مبلغ نصيحة الشيخ عبد العزيز البشرى من الصدق ، وأن الصحافة بالنسبة للأديب إنما هى كالدنيا بالنسبة لرجل الدنيا

وأتلفت اليوم حوالى فأرى جهابذة الأدب أقلامهم معطلة وكان ينبغى أن يغترفوا الذهب من الإناء الذى يضيق دونهم

ويتسع لصماليك الصحافة على حد تعبير المرحوم الأستاذ مصطفى الرافعى ، أو هلافيت الصحافة بتعبير الأستاذ العقاد !

ولو كان للأدباء حظ ، أو لو كان للأدب ذاته كيان مادى لاعتمد على هذا الكيان أمثال العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم فإن الأدب الصحيح كان خليقا أن يحمل على متنه هـذا الثالوث المظلم ، فلا يحتاج الأول لأن يكون عضوا فى الشيوخ ولا يحتاج الثانى لأن يكون وزيرا ولا يحتاج الأخير لأن يكون مديرا لدار الكتب ،

إن الأدب لم يستطع أن يحمل هؤلاء الأدباء الأفـذاذ فى سفينته الجارية ، بله أدباء الدرجة الثانية ، وأدباء الطبقة الثالثـة ومن دونهم

والصحافة الآن هى الوسيلة لنشر الأدب ، ذلك لأن الجريدة اليومية أو المجلة الأسبوعية تـكون عادة فى متناول العامة لرخص ثمنها ، وليس كذلك الـكتاب الذى لا يتداوله فى العادة إلا خاصة المتـأدبين ، ولـكن الصحافة جنت على الأدب ، أو جنت على « فنيته » كما قال الرافعى ، فلم يعد الأديب هو الذى يوجه القارئ كما كان الأمر من قبل ، وإنما صار القارئ أو صاحب الصحيفة هو الذى يوجـه الـكاتب الأديب ، فقد أمست الصحف مثل حوانيت البدالين والبزازين ، يقبل عليها « الزبائن » بمقدار مافيها من تزويقات ومظاهر خلابة لا غناء فيها ولا طائل من ورائها ، ذلك لأن قارئ اليوم لا يحب الدسم ولا الطعام المركز ، وإنما هو يقنع بالشطائر الخفيفة وإن كان ضررها على الصحة بليغا ، ونقصد بالصحة صحة العقل والذهن ، ذلك لأن جيل هذه الأيام إنما يعنى بصحة الأجسام ويطرح صحة العقول !

وكذلك انحطت الصحافة بالأدب ، والأديب الناجح هـو الذى يجارى الجمهور ويتملق غرائزه ، فإذا عدمت الجريدة هـذا النـوع من الأدباء فإنهـا لا تعدم (المخبر) الذى يجئ كل يوم بأبشع أحداث الجنايات ، وأطرف أخبار الطلاق

وإنى لأذكر أن أديبا نابها انتسب إلى إحـدى الصحف ، وسمعت أحد المتلقين يقول : إنه لا يصلح لهذا العمل ، فتساءلت لماذا ؟ فقيل لى : لأنه أديب — كذا والله ! — فهتفت : ياقوم أفيكون المقتضى ما نعا ؟ ولقد كان الأمر كذلك فى الواقع ، فلم تمض إلا بضعة أشهر حتى استغنت الصحيفة عن الأديب المشهور واستعاضت عنه بشاب أمى لا يحسن القراءة والـكتابة ولـكنه إخصائى فى أنباء الفضائح والتشهير والتشنيع !

ومنذ أشهر اتصل بى أن أديبا لامع الاسم موفور الـكرامة سوف يعين رئيسا لتحرير إحدى الجرائد ، فاستبعدت الخبر قياسا على ما علمته من التضاد بين الأدب والصحافة . وصح حدسى ، فإن أديبنا سـئل فى ذلك فأجاب ونعم ما أجاب « إن الصحيفة التى أكون رئيسا لتحريرها لم تخلق بعد » ذلك لأن الصحافة لا تبتغى أن يديرها الأدباء ، وإنما تريد أن يكون الأدباء تبعا لها . وصدق حدسى مرة أخرى حين اختارت هذه الجريدة لرياسة تحريرها صعلوكا من صعاليك الصحافة !

* * *

أما بعد ، فإن الأدب فى مصر يعانى اليوم محنة بالغة الشدة . ولست فى هذا متشائما ، ولا أحب أن يشيع الشؤم ، وإنما أريد أن أبصر وعاة العهد الجديد المجيد بحال الأدب الذى هو عماد كل أمة ، فالأدب هو ضرام الثورة وشعارها ، ولو بقيت سوق الأدب على كسادها ، وانصرف الأدباء عن غشيانها ، فقل على الأمـة العفاء ثم العفاء !

منصور جاب الله

ذكرى الشاعر

صـــالح على شرنوبي

للأستاذ محمد صبرى على سليم

كان لزاما على أن أكتب هذه الكلمات بعد أن مرنا على بعد عام من مصرع شاعرنا الشاب صالح على شرنوبى .. فى مثل هذه الأيام من عام مضى ، صعدت روح صالح إلى بارئها إثر حادث أليم

... كان صالح رحمه الله شاعرا مرهف الحس ، مشبوب العاطفة ، قوى الإحساس ، ولقد عرفته طالبا بالقسم الثانوى بمعهد طنطا — وإن لم أره — وكنت حينئذ طالبا بالقسم الابتدائى فى نفس المعهد . عرفته من قصائده الحماسية التى كان يطالعنا بها فى مجلة « الفكر الجديد » وكان يصدرها فى ذلك الوقت الأستاذ حلمى المنياوى . وذات يوم بحثت عن المجلة فلم أجدها ، ولما تساءلت عن احتجابها علمت أن الرقابة صادرتها لأنها نشرت قصيدة ثائرة لصالح . وبعد ذلك بأيام توقفت المجلة عن الصدور ، لأن ولاة الأمور وقتئذ زعموا أنها تحض على المبادئ الهدامة . . وظللت بعد ذلك أقرأ لصالح فى مختلف الجرائد والمجلات ، وكان إعجابى به يزداد كلما قرأت له . . ذلك لأنه لم يكن شاعرا كبقية الشعراء ، بل كان له مذهب خاص فى الشعر .

استمع إليه فى قصيدة « أختى » حينما يصور لك حياة أخته البلهاء التى جنت عليها الأقدار فحرمتها نعمة الإدراك :

وتقول أمى حين تلقاك ... يا ليت قلبى ما تمناك
أوليت مهدك كان مثواك
لك فى بنات الحى أتراب ... عرسانهن لهن أحباب
فأقول والقدور غلاب
قد خانك أنت الحظ يا أختى

فهل رأيت شاعرا بلغ فى دقة التصوير والتعبير مابلغه صالح ؟ لقد كان ذات ليلة فى غابة السيمانتين ، ونظر حواليه فرأى امرأة فى خريف العمر تجلس وحدها مطرقة مفكرة . ولما سأل عنها قيل إنها كانت فى ربيع عمرها تلعب بقلوب الرجال ، أما اليوم فليس فيها ما يسر العيون . وراقبها صالح مدة ، ثم كتب قصيدته « أطلال رائعة » التى يقول فى مطلعها :

أطرق أطرق فقد ضحك الليـ ... ـل وألقى عليك ثوب ظلامه

إلى أن يقول :

لم يعد فيك ما يسر العيونا ... فاعذرى العابثات والعابثينا
وإذا أيقظت شجونك حورا ... وأوحت بقبحك الشامتينا
فاسخرى من جمالها وصباها ... واحقريها بكثرة العاشقينا
أوعظيها قرب شيطانة منكن قالت فأبكت الواعظينا

وفى قصيدته « أشواق الربيع » تراه يخاطب تلك المجهولة ويسألها أن تعود إليه ، فهو غريب القلب والدار فيهتف :

تعالى يا ابنة الأحلام يا مجهولة الذات
تعالى يا ضياء لم ينور أفق ليلاتى
تعالى نجمع الماضى الذى راح إلى الآتى
تعالى يا غراما تاه فى دنيا الصبابات
تعالى طهرى بالحب آثامى وأوزارى
تعالى فأنا وحدى غريب القلب والدار
طريدا مثل أحلامى شريدا مثل أفكارى

ويلح عليها أن تسرع بالعودة إليه ، فقد يخنقهما الترب ولم يتمتعا بالحياة ، فيكرر هتافه :

تعالى نخلق الحب فقد خلقنا الحب
فقد يخنقنا الترب ولم نعشق ولم نصب

وتراه ينظر إلى الناس يأكل بعضهم بعضا ، ويلغ بعضهم فى دم بعض ، فيشمئز ويتألم ويثور ، وتتمثل ثورته فى قوله من قصيدة « السراب الخالد » :

وحوالى من بنى الطين أشباه قطيع مشرد فى يفاع
دعهم ماؤهم وراعيهم الذئب وأعراضهم سفوح المراعى

ويحزنه من بنى الطين أنهم لا يحسون الجمال ولا يتذوقون الحسن فيقول :

كلما رن مزهر أو شدا شاد أعاروه ميت الأسماع
ألهنا القطيع أنفق أيامى وتغنيني الليالى الحزينه

ســـــليمان العبسى
فى ديوانه « مع الفجر »
للأستاذ أحمد الفخرى

هــذا البلبل الصداح فى جنائن الهوى يشدو تارة ويشكو طورا ، ولــكنه فى كلتا الحالين لا يستطيع إلا أن (يغنى)

التلك الأيام أسحق عمرى وأغنى ألحانى المفتونه

وهو يذكر بالخير جميع الناس ، حتى أولئك الذين التفوا حوله يوم أن ابتسمت له الحياة ، فأخلص لهم ، ثم تنكروا له وانفضوا من حوله عندما تنكرت له ، فهو متسامح أبدا لا يعرف قلبه البغضاء ، يتجلى ذلك فى قوله :

أيهــا الراحلون عنى رويدا فمن الهجر ما يكون حراما
كنت يوما وكنتمو ثم شئتم ما أراني، قبل الختام الختاما
لم يعــد لى من حبكم غير أحــلام صداها يشتت الأحــلاما
ذكريات أبــكى لهــا وأغنى وهى لى بعدكم هوى وندامى
سوف أحيا لــكم فإن مت يوما فاحفظونى فقد حفظت الزماما

فبوركت يا صالح إنك فنان ملهم . .

لقد عشت مخلصا لفنك كل الإخلاص ، وفيا له كل الوفاء . . فنى سبيل الله تلك النفس الطاهرة الــكريمة التى ما حملت فى جنباتها حقدا لإنسان..ويا دولة القريض العزاء

أخى .. عزيز على أن أكتب فى يوم ذكراك ، وقد كنت أود أن أكتب فى يوم زفافك ولــكن .. ولــكن هكذا شاءت الأقدار . . على أن مما يعزينى أن شعرك سيظل خالدا على ممر الأيام ، ينير الطريق للمدلجين الحائرين

أخى .. طبت فى مثواك ، وسقى الله ثراك ، وسلام عليك فى الخالدين

محمد صبرى على سليم

ألحان الحياة ، وما الحياة إن لم تكن نشوة حب ، وخفقة قلب ، أو لوعة تبعثها اللهفة إلى تلك النشوة ، والحنين إلى ذلك الخفقان ؟

أنا أهوى الألحان نبض حيــاة
ودموعــاً ... طروبة العبرات . .
وجراحــاً . . . تلف بالبسمات
لا نواحا ميتا . . . على أموات
لا عيوناً تسيــل فوق الرفات

أنا أهــوى على رنينك عودى
أن أحس اختلاجة الجلمود

* * *

ولو شئت أن أطوف بك فى رياض هذا الهوى — رغم صغر حجم الديوان — لطال بنا الطاف ولتحيرت والله أين أقف بك ، ولــكن حسبنا هــذه الباقة ففيها من الشذى والحسن ما يدلك على نضارة رفيقاتها وجمالهن . ولقد رأيت معى كيف نسقها صاحبها وكيف رسم فيها من (الحضرى) العف صورة لأنبل العواطف وأرقها وأعنفها وأوسعها حتى لــكأن الــكون كله محب وحبيب ...

وهذه سمة الشاعر العبقرى الذى يتصل فى وجدانه بأرحب ما فى العــالم ويحلق بخياله إلى أعلى ما فى السموات ، ينهل من معين جمالها ويرشف من خمر سنائها ويبادلها حبا بحب ، فيسكب عليها من فؤاده ما ينطق الجامد منها حتى لــكأن هــذا الوجود كله قلب ينبض وكبد تهفو وعاطفة تتأجج ، وهو يجيد تصوير الطبيعة ولــكن لا بالألفاظ الجوفاء والصور الجامدة وإنما هى فى ريشته إنسان يحس ويحب ، ويسعد ويتألم .. وستخلد الطبيعة وستخلد معها صورها الرائعة هذه ..

أنشد معى هذه الأبيات :

الصخرة الزرق بأحلامها تحس مثلى وحدة قاتله
هذى خطانا لم يزل وقعها وشوشة فى سمعها مائله
تسألنى الصخرة باطفلتى عنك وترتد معى ذاهله

* * *

ألم نــكن نرسو على شطها طفلين مثل النغم الشارد

في قبلة حالة إن أضع | وإن تضيعي فعلى ساعدى
تبارك الحب فكم أرعشت | عيناه .. قلب الحجر الجامد ..

* * *

واسمه يرثى العندليب ويشكو مع الروض فقدانه . .

الوردة الحمراء... ياطائرى | تشكو إلى الأنسام أشواقها
عاشت على ترجيعك الساحر | قد فتحت للنور أحداقها
تلك شظايا قلبك الشاعر | تخضب بالحمرة أوراقها
على دم المبدع والثائر | تركز أوراد الربى ساقها

* * *

سلها أتحلو رقصة أو يطيب | بعدك لحن للهوى والنسيب ؟
ستهمس الوردة : أين الحبيب | ويهتف الغصن وما من مجيب..
ماضر لو غنيت حتى المغيب | ياشاعر الأطيار ياعندليب ؟

* * *

كنت إذا ما الفجر لف الظلام | بالشفق الوردى . . فوق الربى
رقرقت فى سمع الزهور النيام | من اللحون .. المعجب المطربا
فاستيقظ الوجد ، وأج الغرام | فى كل قلب نابض بالصبا
أين الأغاريد وأين الهيام | إنى أرى روض الهوى مجدبا

* * *

أعد إلى هذا الوجود الكئيب | بنغمة ، برد الشباب القشيب
ماحطمت لغز الوجود الرهيب | إلا يد الفنان ، ياعندليب
ماضر لو غنيت حتى المغيب ؟

هذا هو حب سليمان ، وهذا هو غزله . نفس مرهفة الشعور ، وعواطف كريمة يصوغها بأرق أسلوب وأمتنه ، وذلك من الصعوبة بمكان ! إذ لا نكاد تتيسر هذه السلاسة وهذه العذوبة فى هذه القوة إلا للقليل من كبار الشعراء ...

وأما المعانى والصور الفنية والتجارب النفسية فما إخالك إلا معى فى الإعجاب بهذا الخيال الخلاق الذى صورها فأحسن تصويرها . ولكأنه والله حين يستعمل الكلمة يخلق لها معنى جديدا أخاذا ، يزيده روعة هذا الجرس الموسيقى الساحر ، وهو يحق من أكثر الأدباء سيطرة على اللغة وقدرة على التلاعب بالألفاظ ، حتى لكأن اللغة — كما يعبرون — قد أسلمته قيادها فلحنها أنغاماً طروبة أفتن ما تكون فى (موشحاته) المرقصة التى انفرد بها وحقق للأندلسيين ما كانوا يرنون إليه . . . ولا حاجة بنا إلى الاستشهاد فى ما عرضنا الكفاية . ولنختتم حديثنا عن هذا (الغرض) بهاتين الصورتين القريبتين البعيدتين لندرك كيف تمر الحقائق الجانحة بخيال الشاعر فيخرجها حية ناضرة مفعمة بالحرارة ، مترعة بالظرافة الخفيفة الفطرية التى لم تستطع تلكم العواطف الصاخبة رغم تأججها ، أن تخفى حلاوتها ومرحها : —

أين حقل مائج الزهر طروب | نتخطاه وقد مال الغروب ؟
ونسيم الريف منساح لعوب | يلمس الغيمات لمساً فتذوب !
طفرت بين الشجيرات القلوب
وانبرت على على الزهر كتابا | من سرور . . وهو يفتر جوابا

* * *

حسناء .. إن تبعدى عنى فما غربا | صوت طروب ، وثغر باسم ، وصبا
وخفة من فؤادى .. خلتها لعبا | حتى إذا أفهمتنى أختها السببا
أيقنت أن الذى غالبته غلبا !!

* * *

وأما المضمار الواسع الثانى ، والذى استأثر بأكثر اهتمام شاعرنا الفتى فهو مضمار البطولة ، مضمار الوطنية المشبوبة

صبى صغير ، يرتع ويلعب على ساحل الأبيض المتوسط ، تدغدغه الأمواج ، وتداعبه النسمات ، ثم لا يلبث فجأة أن يجد الغاصب المتعسف ينهب وطنه ، ويستأثر بملاعب صباه ، ويشرد أهله ويسلبهم أملاكهم . . ويتشرد هذا الصبى مع المشردين .. ويترك وطنه مع اللاجئين .. وفى فؤاده نار .. وفى عينيه دمعة أبت عليها حرارة الزفير أن تسيل .. هذا الصبى الملتاع يشب وتشب معه مآسى وطنه فهو أينما تلفت فعلى لواء مسلوب أو وطن موطوء ، وهو أين ألقى بطرفه — فعلى نصل تغذيه (صلة) رقطاء

ليت شعرى بعد هذا كيف تخبو هذه الشعلة فى فؤاده وكيف يلطف هذا السعير فى عروقه ؟ لقد سهرته النكبات وأذابته النوائب ، وصاغته الأعاصير نشيدا عاصفا ولحنا ملتهبا ، يهتف بالضاد ليله ونهاره ، ولا يعرف مللا . . ولا يكاد يشغله عن مآسيه فيه مؤاس حتى ولو كان حبيبه ومالك قلبه

هذا هواى . ولن أفنى به شغفا مهما استبد ومهما رى دمى عصفا
قد كان حسبى . . لولا أن لى هدفا عاهدت يوماً عليه النبل والشرفا
حسناء . . قد سارت الدنيا وقد وقفا . .
شعبى تمزقه (أطماعهم) شعبا . . فهل نلومين دا روح إذا غضبا ؟

* * *

فما هو إلا زفرة موتور يريد الانتقام والإيثار ، وهو لو حبسها لأصلته سعيرا : —

ما أردت القريض ، إن هى إلا عاصفات جنت على قيثارى
ثورة . . لو حبست عودى عنها حطمت أضلعى مع الأوتار . .

* * *

وأين لليأس فى هذا القلب الثائر مكان ؟ وهو كلما اشتدت به الزعازع لحسبه أن يلقى نظرة على الماضى وأن ينصت إلى دمه الدفق ليتفجر بركانا يكتسح اليأس ويضىء أملا . .

لفتة يا خيال . . نستلهم الماضى ونسكر على صدى التذكار
لفتة نشهد (الجزيرة) نشوى من سلاف الرسالة المعطار

* * *

أنفضى الموت . . أنت أخصب من أن
تقفرى من مواكب الأحرار . . .
وافتحى للصباح جفنك يا صحراء . .
هذى زماجر « الثوار » . . .
سيعود الوجود يوما إلى الرشد على صوت لجك الهدار . . .

* * *

وسيظل يهزج حتى تتحرك الصحراء وينتفض الرمل : —

وأهزج ياصحراء حتى تحرك وحتى تهز الليل أنشودتى البكر
كفى ألما أن تحمل القيد أمة ولا يشتكى سوط العذاب بها حر
قوافل تمضى من مهازيل أمتى يسيرها ناب ، ويحدو بها ظفر . .
يمر بنا التاريخ غضبان ساخرا ! ويمضى بنوه خاطفين ، وننجر
قوافل من بيض العبيد كأنما على روحهم قفل ، وفى سمعهم وقر
إذا أنت ناشدت المروءة فيهمو تملكهم من طيفك الرعب والذعر

* * *

سأهزج يا صحراء ولتمض صيحتى
إلى كل رمس بات يرقبه الحشر . . .

أيغمض كف الموت جفنى وليس لى
بلادى شبر لم نحرره أو متر ؟

* * *

وأى لوعة مشبوبة فى هذا البيت الأخير ؟ ولكنها ما إن تشتكى حتى يهدهدها الأمل ويطمئنها الشباب :

شباب يغذيهم هوى ، وعقيدة ويجمعهم هم ، ويخفزهم ثأر
لنا المجد ، إن ترقد عيون حماته فمن دم أحفاد الحماة له مهر
إذا لم نعش للرائعات من العلى فلا خط فى سفر الحياة لنا سطر
أرى وطن الأحرار قد طال ليله . .
غدا يشرق الصبحان : ألبعث والفجر

البقية فى العدد القادم

أحمد الفخرى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

الأدب الرمزي

يزور مصر الآن السيد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية علماء الجزائر . وقد اجتمعنا به في ندوة الشورى مع طائفة من الشخصيات العربية والمصرية منها السيد الفضيل الورتلاني والكولونيل عبد الله التل والسيد الوزاني الزعيم المراكشي والأستاذ الشافعي اللبان والسيد محمد على الطاهر صاحب الشورى ودار الحديث حول ما تقوم به جمعية علماء الجزائر من نشاط في سبيل نشر العلم والثقافة بالوسائل الشعبية في الجزائر ، وقال السيد الإبراهيمي إن هناك ٤٠٠ مدرس هم مجندون لتثقيف الشعب ، وإنهم أشبه بالعباد المتجردين في سبيل أداء هذا الواجب المقدس

ومما يذكر أن جمعية العلماء التي أنشأها السيد عبد الحميد ابن باديس وخلفه على قيادتها السيد الإبراهيمي بعد وفاته ، هي إحدى الدعامات الضخمة القوية التي أفزعت الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا وأقضت مضجعه

فقد عملت هذه « الحركة » منذ فجر نشأتها على مقاومة البدع التي انتشرت في المغرب وأعان عليها الاستعمار ، ودعت إلى العودة إلى الإسلام في منابعه الأولى ؛ ووقفت للطرق الصوفية بالمرصاد على أساس أنها مصدر الشر والستار الذي يخفي خلفه الاستعمار ويتخذ منه سبيله إلى تفسير بعض الآيات القرآنية التي تدعو إلى طاعة الله ورسوله وأولى الأمر تفسيرا خاطئا

ولقد تطرق الحديث إلى « الوسائل » التي يستطيع بها رجال جمعية العلماء إعلان آرائهم دون أن يقف الاستعمار في وجههم ، فقال لنا السيد البشير الإبراهيمي إن الأدب الرمزي هو الوسيلة الوحيدة لهذا ، وإنه قد ابتدع لونا من فنون الأدب هو « سجع الكهان » . . . استطاع عن طريقه أن يفصح عن كثير من آرائه الجريئة الحرة في الكثير من المسائل والأشخاص . وكانت جريدة البصائر التي تصدر في الجزائر ميدانا لهذا اللون الجميل من الأدب

وقد روى لنا أكثر من أرجوزة من هذا السجع ، صور فيها رأيه من كثير من القضايا العربية والإسلامية ما كان من المستطاع الإشارة إليها عن طريق الكتابة العادية

وليس من شك أن اللغة العربية كانت خلال حياتها الطويلة ظهيرا لأصحاب الآراء الحرة في إذاعة آرائهم وتسجيلها عن طريق الأدب الرمزي في الأوقات التي كان يحال فيها بين الأحرار وبين إعلان آرائهم عن طريق الكتابة الصريحة . .

وليس قصائد اللزوميات التي أنشأها المعرى ، وليست رسالة الغفران والفصول والغايات جميعها إلا من هذا الأدب ، وقد كان صاحبها لا يستطيع أن يقول للناس كل شيء في صراحة فكان يضمن شعره هذه المعاني ويدعها ليفهمها من يفهمها على الوجه الذي يريد

وليس كتاب البخلاء وغيره من آثار الجاحظ إلا « أدبا رمزيا » قصد به الجاحظ إلى تصوير بعض الشخصيات التي كانت تعيش في عصره ، ولم يكن يستطيع أن يجهر بهجائها وإعلان الخصومة لها فوجد في هذا الأدب الرمزي منفذا إلى الحديث عنها

وقد اتخذ هذا الأسلوب من الأدب الرمزي كثيرون من الكتاب في عصرنا الحديث في مقدمتهم الدكتور طه حسين . وهو يقول في مقدمة كتابه « المعذبون في الأرض » الذي صدر أخيراً

« هذا الأدب الجديد الذي أنشأته حكومات الطغيان إنشاء حين اضطرت الكتاب إلى العدول عن الصراحة إلى فنون من التعريض والتلميح . ومن الإشارة والرمز ، حتى استقل هذا الأدب بنفسه وتنافس القراء عليه تنافسا شديداً ، وجعلوا يقرأون ويؤولون ، ويناقش بعضهم بعضا في التأويل والتحليل واستخراج المعاني الواضحة من الإشارات الغامضة . وانظر إلى ما نشر صاحب هذا الكتاب من جنة الشوك وجنة الحيوان ، ومرآة

الضمير الحديث ، وأحلام شهر زاد فلن ترى إلا رمزاً لظاهر كنا نبغضها ولا نستطيع أن نتحدث عنها فى صراحة أثناء تلك الأيام السود : فكنا نؤثر الغموض على الوضوح ، والرمز والألغاز على التصريح ، والإشارة والتلميح على تسمية الأشياء بأسمائها ، وكانت حكومات ذلك العهد ورقابتها تقرأ فلا تفهم فتخلى بين الكتاب وما يكتبون ، وتخلى بين القراء وما يذاع فيهم من ذلك الأدب الجديد »

اللهجات العربية

ومما دار من حديث فى ندوة « الشورى » ما أثاره الأستاذ الشافعى اللبان من أنه كان خلال فترة الصيف فى جينيف لا يفهم كثيرا اللهجات العربية المغربية ، ومما قاله فى هذا أنه استمع إلى بعض أهالى المغرب وهم يتحدثون ، فوجد أنه لا يستطيع أن يفهم منهم كثيراً مع أنهم يتكلمون باللغة العربية وكان يسأل فى هذا السيدين الوزانى والفضيل

وقد أجاب الأستاذ الفضيل على هذا بأن فى اللغة العربية كلها حوالى ١٥٠ كلمة هى التى تحول دون فهم أهالى البلاد العربية بعضهم بعضا وهى ليست كلمات عربية بالطبع ، وإنما هى كلمات عامية أو لهجات

وبينما يعتبر المغربيون أنفسهم يتكلمون اللغة العربية الخالصة ، لا يجد المصريون والذين هم فى مثل ثقافة الأستاذ الشافعى اللبان قدرة على فهم الكثير من أحاديث أهل الغرب ، ومثل هذه المشكلة تقع بالنسبة للمغربى والشامى أو بين المصرى والعراقى

ومما قاله السيد الفضيل الورتلانى : أنه أحصى أثناء إقامته فى بيروت حوالى ٦٠ كلمة (لبنانية — سورية) هى الحائل بين فهم المغاربة للهجات الشوام . وكذلك فى لغة المغاربة حوالى ٤٠ كلمة ؛ فلو أن كتابا وضع فى بيان هذه الكلمات وشرحها والتقريب بين المتشابه منها فى اللهجات المختلفة لأمكن تضييق شقة هذا الخلاف اللغوى ولأصبح العراقى مفهوما فى المغرب والمغربى مفهوما فى مصر

محمد فريد « المؤرخ »

فى الأسبوع الماضى ، كان موعد ذكرى محمد فريد « قديس الوطنية المصرية » كما أطلق عليه ذلك الأستاذ عبد الرحمن الرافعى المؤرخ الكبير ، وفريد خليق حقا بهذا اللقب فقد ضحى فى سبيل بلاده بكل شئ وكان علما خالدا على التضحية فى تاريخ مصر والشرق جميعا

.. ولكن « محمد فريد » يدخل فى هذه الصفحة أيضا من باب الأدب ، فقد كان كاتبا من أعلام الكتابة والبيان ، ومؤرخا غاية فى القوة والتثبت والوضوح وهى أبرز علامات الكاتب الناضج والمؤرخ المنصف

حدثنى أول أمس الأستاذ محمد على الطاهر المجاهد العربى وصاحب الشورى ، وقد رأيت معه كتابا ضخما يعنى بتجليده وتمليغه ويبذل فى ذلك جهدا كبيرا ؛ فلما سألته عنه قال هذا كتاب قرأته فى خلال ثلاثين عاما ، مرتين.. وأنا أقرأه اليوم للمرة الثالثة

قرأته سنة ١٩٢٢ فى طبعته الأولى وسنة ١٩٣٥ فى طبعته الثانية وأنا اليوم أقرأ طبعته الثالثة ، إنه كتاب الدولة العثمانية الذى ألفه قديس الوطنية المصرية محمد فريد وهو من أوفى الكتب التاريخية فى هذا الباب

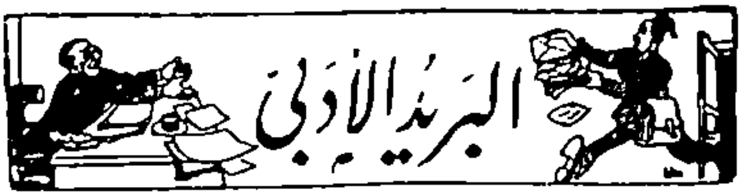
وذهب الأستاذ الطاهر يصور الكتاب ومؤلفه فى صورة رائعة حية ، تدل على مدى تقديره لهما

وإذا ذهبنا اليوم نسأل عن محمد فريد فى محيط الحياة المصرية لم نجد له أثرا ! فما هى ذكراه تمر ، ثم يكتب فيها الافصل واحد فى جريدة اللواء الجديد

وإذا أخذنا ننظر إلى مجموعة التماثيل المنثورة فى أنحاء القاهرة لم نجد بينها مع الأسف تمثالا لهذا الزعيم الوطنى ، بينما نجد تماثيل لآخرين كانوا ولا شك أقل منه وطنية وبطولة وتضحية

وإنا لنرجو فى هذا العهد الجديد أن يتاح لهؤلاء الأبطال أن يستردوا ما فقدوه خلال عهود الظلم القديمة ... من مكانة هم جديرون بها وخليقون أن يوضعوا فيها بعد أن اعتدلت الموازين

أنور الجندى



ضيف كريم

يزور القاهرة اليوم الكاتب العالم الخطيب شيخ علماء الجزائر ورئيس تحرير البصائر الأستاذ محمد البشير الإبراهيمى وهو فى طريقه إلى أقطار الشرق الإسلامى ليلقى رجاله ويدرس أحواله .

وقد تفضل الأستاذ فزار إدارة الرسالة فأنسنا بلقائه ونعمنا بحديثه .

والرجل أحد الآحاد الباقين الذى يكتبون لغتهم بأسلوب رصين ، ويبرزون فكرتهم فى صورة أنيقة . وهو عميد جمعية العلماء الجزائريين وطريقتهم إلى الإصلاح والجهاد بما أوتى من صدق إيمان وقوة بيان ووفرة علم . ولولا هذه الجمعية لفتنت الجزائر عن دينها ولغتها ووطنها ، فهى فى جانب والاستعمار فى جانب ، والجانبان يتنازعان الأمة الجزائرية كل إلى جهته . وليس بين المتنازعين تكافؤ فى المادة والوسيلة . فإذا قبضنا أيدينا عن مؤازرة هذه الجمعية ساعدنا المستعمرين على أن ينصّروا المسلمين ويبربروا العرب . ولعل الأستاذ الفاضل يكتب كلة عن هذه الجمعية فى الرسالة ؛ فإن أكثر الناس عنها شيئا

إلى الأستاذ رئيس التحرير

قرأت فى نشوة « نصيب قريتى من الثورة » وكنت من قبل قد قرأت فى وحى الرسالة نصيبكم من الإصلاح ، ففى « وصف مآسى قريتكم من القرى ، وأمتكم من الناس، وصفا مداده الدمع وكلماته الأنين » وإن فيما حفزتم به المستنيم على اليقظة ، والمتواكل على العمل، والجازع على الصبر، والقلق على الاطمئنان ، إن فى كل ذلك وفى غير ذلك من آثار قلمكم — لخيوطا من سدى الثورة ولحمتها

ولئن لم تر العين اليوم من الثورة غير جلتها فإن نسيجها كان بأيد مختلفة قدر لها أن تأتلف ، وفى المأمول أن لا تعود فتختلف، ومن ثم كانت ثورة الجيش ثورة الأمة وكان لكل ذى نفس حساسة فيها نصيب

ولئن كنا فى البداية من ثورة ، نصيبكم فيها المساهمة فى إعزاز الذليل وسيادة الرقيق وتمليك الأجير ، فأحر بكم أن تدأبوا — وقد حثثتم على الدأب — ولا تحرموا الرسالة فى بعض أسابيعها من بسمات فى مكان سوابق الدمع . وضحكات فى موضع سوالف الأنين

لقد كان لانقطاعكم أحيانا عن الكتابة عذره العاذر فليس بالمغرى وصف المفاسد والمخازى، وليس بالمشجع إيقاظ النيام. ولقد وعدتم مع بداية النهضة بتجديد الرسالة فى الشكل والموضوع والتحرير والحجم لتسايرا العهد الجديد الذى بدأته مصر فى الثقافة والحضارة ، كما وعدتم بعودة الرواية أقوى مما كانت عليه — جمال أسلوب — وحسن اختيار — فهل ينطوى تحت هذا الوعد استمراركم على موالاتها بما ينتظره القارئ منكم . وما يرجوه لكم من صحة وعافية

وبعد فلنيركم بقال

علام أقول السيف يثقل عاتقى . إذا أنا لم أنزل إذا الحرب شبت

أما أنتم فقد شبت الحرب وأنتم فى ميدانها صائلين جائلين معقودا لكم لواء من ألويتها

وما انتهت بعد المعارك ومعاذ الله أن نرى ولو فى خلال أسبوع من بين أسابيع من ينجو برأس طمرة ولجام — ولو أن رأسه رميت بأشقر مزبد »

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الاسكندرية — أحمد عوضه

(الرسالة) أشكر للسيد الفاضل جيل رأيه وحسن توجيهه ، وأدعو الله على أن يعيننى على تنفيذ ما أراد ، وتحقيق ما أمل

ضبة — ميّة

علق كاتب حذر — فى العدد ١٠٠٧ الصادر فى ٣٠ محرم سنة ١٣٧٢ من مجلة (الرسالة) النيرة على علمين من أعلام الأمكنة فى بلاد العرب وردا فى مقال عن كتاب (معجم ما استعجم) . يطلق أحدهما على بلدة واقعة فى شمال الحجاز على بحر (القلزم) باسم (البحر الأحمر) والثانى منهل من أعرف مناهل نجد بين بلدتى حائل والجوف (دومة الجندل) فى الرمل المعروف قديما برمل (عالج) . فقال ذلك الكاتب الذى لم يشأ ذكر اسمه الصحيح

١ — (ضبطت قرية « ظبا » بالظاء والصواب — كما أعتقد — أن يكتب الاسم بالضاد « ضبا » لا بالظاء)

وأقول الصواب أن تكتب بصيغة ثالثة مخالفة للصيغتين المذكورتين — هي « ضبة » بضاد فباء فهاء . قال ياقوت الحموى في معجم البلدان ج ٥ ص ٤٢٤ الطبعة المصرية : ضبة بلفظ واحدة الضباب إما الحيوان وإما الضباب — اسم أرض وقيل قرية بتهامة على ساحل البحر مما يلي الشام وبحذائها قرية يقال لها (بدا) وهي قرية يعقوب النبي عليه السلام بها نهر جار بينهما سبعون ميلا ومنها سار يعقوب إلى ابنه يوسف عليه السلام بمصر — انتهى كلام الحموى . وضبة القرية هي المقصودة وكل الأوصاف التي ذكرها الحموى تنطبق عليها فهي — ١ — قرية بتهامة على ساحل البحر مما يلي الشام — ٢ — و (بدا) بفتح الباء والدال المخففة (وقد ضبطت في تاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن إبراهيم حسن ص ٣٣ ج ١ بتشديد الدال خطأ) لا تزال معروفة باسمها هذا بقرب ضبة وبقربها أيضا (شغب) قرية المحدث المعروف محمد ابن مسلم بن شهاب الزهرى — أول من دون الحديث النبوى — وفيهما يقول كثير الشاعر :

وأنت التي حببت (شغبا) إلى (بدا)
إلى وأوطاني بلاد سواها
حللت بهذا حلة بعد حلة
بهذا فطاب الواديان كلاها

وفي الواديين مياه كثيرة وزروع . وقد كنت أثناء إقامتي في (ضبة) أسمع أهلها ينطقونها بالظاء لا بالضاد ويقولون إن اسمها القديم وادى الظباء فكتبت في مجلة (المنهل) أصوب كتابة الاسم بالظاء بدل الضاد وكتبتها في كلتي عن معجم البكرى بها — ولكنني بعد أن اطلعت على كلام الحموى ظهر لي خطآن اثنان — بل ثلاثة — أحدها ماذهبت إليه من كتابتها بالظاء وثانيها : كتابتها بالألف بدل الهاء ، وثالثها : ضبط ياقوت لها بالتشديد كما يفهم من كلامه — والصواب في رأيي التخفيف مع ضم الضاد (ضبة) وكذا ينطقها أهل نجد إلا أنهم يسكنون الحرف الأول كعادتهم في كثير من أوائل حروف الأسماء

٢ — وحاول الكاتب أن يخطئ استعمال كلة (جبة) اسم المنهل المذكور — لعلتين أبداها — ١ — سماعه من قبيلة الشرارات كلة (الجوبة) — ٢ — حكمه بعدم جواز أن تكون مؤنث (الجب) . وفات حضرة المصحح المخطئ أن قبيلة الشرارات لا تسكن تلك الناحية وأنها تقصد بكلمة الجوبة — هي وغيرها من قبائل العرب — الأرض المنخفضة الواسعة أيا كانت ، وفاته أيضا — الرجوع إلى معاجم اللغة والأمكنة — ولو رجع إليها لوجد اسم (جبة) يطلق على هذا المنهل وعلى عدة مواضع في العراق وفي الشام وغيرها (انظر هذه المادة في القاموس المحيط وهو من أسهل القواميس تناولا وأكثرها تداولا — مثلا) وأما الحكم بعدم جواز تأنيث (الجب) فأمر خارج عن موضوعنا — وهو — في حد ذاته — لم يصادف المحل ولم يستوف الشروط فصار باطلا — كما يقول السادة الفقهاء . وبعد فللرسالة الزاهرة يد بيضاء لما تنشره من كتابات لا تخلو من فائدة ولحضرات القراء تحية طيبة

محمد الجاسر

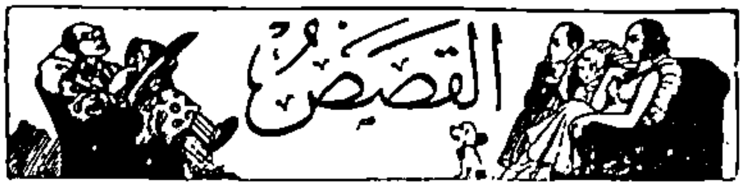
حول البوصيرى

مجلة (الرسالة) هي مجلة العرب جماء — يجد فيها كل باحث ومحقق وعالم وأديب ميدانا واسعا لنشر ما يمتع ويفيد القراء . وإذن فليأذن لنا الأستاذ الكبير الزيات بأن نعلق على ما جاء في العدد ١٠٠٧ منها حول البوصيرى بهذه الكلمة المجملة التي لا نريد بها إلا بيان الحق المجرد من كل غرض

قال القاضي الفاضل السيد على الطنطاوى كلمة الحق حينما قال إن شرك المشركين الأولين أقل من شرك بعض المسلمين المتأخرين — لأن أولئك يدعون الله في الشدة — وهؤلاء يدعون غيره فيها؛ والدعاء من أنواع العبادة التي خلق الله الخلق ليصرفوها خاصة له (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) . ولكن الحق لا يرضى كل أحد فالأستاذ عبد السلام النجاريري أن قول البوصيرى

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

جائز ولا يتناقض مع شئ من أمور الدين بدليل حديث الشفاعة — وللأستاذ المحترم أن يعتقد ما شاء ولكن ليس له أن



مجنون ...

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

أبي مس من جنون ؟ أم أن مابي فيض من غيرة فحسب ؟ لست أدري من أمر مابي شيئاً ، ولكنني أكابد مر العذاب ،

يرمى طائفة من المسلمين بما هم منه براء ! فهو يقول (إن الطنطاوى تابع فى تكفيره البوصيرى محمد بن عبد الوهاب إمام حنابلة نجد) فالإمام المجدد ابن عبد الوهاب — رحمه الله — وحنابلة أهل نجد بل كل المسلمين — لا يكفرون إلا من اتصف بالكفر — ولم يثبت عن واحد منهم تكفير البوصيرى . وغاية ما يقولون به ويعتقدونه هو :

(١) أن البوصيرى دعا الرسول والرسول ميت ، ودعاء الأموات شرك (ولاتدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك)

(٢) لاينكر أحد من المسلمين شفاعة الرسول (ص) تلك الشفاعة التى أوضحها الله سبحانه فى القرآن الكريم وبينها الرسول (ص) (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ؟) (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) . وقال (ص) مجيبا لسائل سأله من أحق الناس بشفاعتك ؟ فقال من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه ... فالإذن والرضا من الله وإخلاص العبادة له لا بد منها فى الشفاعة

(٣) تكفير المسلمين لا يجوز إلا من ارتكب شيئا من المكفرات وأصر على ارتكابها بعد إيضاح الحق له ومات على ذلك، وكل مسلم يبرأ إلى الله من أن يصف البوصيرى بهذا الوصف — إذ لا يمكن الجزم بخاتمته . وليكن حسن ختام كلمتنا هذه تحية — من ربى نجد مضمخة بأريج شيحه وعراره للأستاذين الجليلين الطنطاوى والنجار — وشكرا عطرا للقائمين على هذه المجلة الغراء

عبد الرحمن بن رويشد

ومض الألم . لقد اجترمت يداى إثم طيش ، طيش أهوج مجنون ، إن هذا لحق. ولكن ألا تكفى هذه النيرة الرابية المهورة، وذاك الحب الثائر الخائن الملعون، وهذا الألم الباهظ المقوت — ألا يكفى كل هذا لأن نأتى إثماً من الأمر وسخفا دون أن ينزع منا إلى هذا السخف أو ذاك الإثم عقل أو فؤاد ؟

أواه ! إنى لآسى وآلم ... وآلم من عذاب دائم حاد مفرط . لقد أحببت تلك المرأة حبا سليطاً طاغياً . ولكن أكان حبها حقا ؟ أعلقتها ؟ كلا ثم كلا ! لقد ملكت على حسى ، وحالت بينى وبين نفسى ... أسرت وصرعت ، فكنت فى يدها — وما أزال — دمية . كنت ملك النظرة الخاطفة ، واللحظ الرهيف ؛ أسير الغلالة والقد الدقيق ؛ عبد التبسم والشفاه ... وكنت ألهث إذا ما تسلط على هيكلها وتآمر ... ولكنها هى ، صاحبة كل هذا ، وكائنة هذا الجسد ، أمقتها وأحقرها وألعنها . لقد كانت كدرة غادرة ، وكانت دنسة ماكرة ، وكانت مخط الفساد ومهبط السوء . إنها الحيوان فاسد مثير تخلى عن الروح فتخلت عنه ولم تعد بعد فيه ؛ ولم يعد يسير عقله كما يسير نسيم منعش متطلق .. إنها البهيم الآدمى ، بل هى أحط من هذا وأدنو . إنها ردغة مستوحلة . هى آية من آيات الجمال البض الغريض سكنت دار الخزى والعار

كان اتصالنا فى أول الأمر غريباً جيلا . وكان يقتلنى — بين ذراعيها المفتوحتين أبداً — جنون الرغبة الملحة العاتية . وعيناها كانتا تفغران فى كأنما ألهب حلقى العطش . كانتا سنجابيتين حين الظهيرة ، مشوبتين بخضرة وقت دلوك الشمس ، وكانتا زرقاوين إبان الشروق . ليس بى مس من جنون ، فإنى لأقسم أن كان لعينيها هاته الألوان الثلاثة . فهما فى أحايين الحب زرقاوان ثاقبتان ، يتوسطهما إنسانان كبيران مضطربان ، وشفتاها تقلصهما رعدة محمومة ، فلربما انفجرتا عن طرف لسان ريق أحمر يتحرك كلسان الأفعوان، وجفناها الغضيضان الناعسان تشرعهما فى وناء وهينة ، فتكشف عن نظرة مضطرمة وارية ، كانت تزيدنى جنوناً . وكنت أحتدم غيظاً إذا مارأيت نظرتها هذه لدى العناق ، وأرجف حنقاً ورغبة أن أقتل هذا الحيوان الذى تلحف الضرورة فى بقائه

وكان فرعى يهتز لوقع خطاها وهى تتخطر فى حجرتى ؛ وكان قلبى يثب لحفيف ثوبها إذ تأخـذ فى خلع ثيابها فتدع ثوباً يقع ، وتخرج منه عارية خجلة ، وكنت أحس من ريح غلائلها اللاصقة انحلالا رخيا يسرى فى أعضائى وأطرافى جميعاً ...

وشعرت بأنها ملتنى فجأة واجتوتنى . إذ رأيت ذلك فى عينيها يوماً حين أصبحنا ، فقد كان من دأبى أن أحنو عليها كل صباح أرقب نظراتها الأولى . . . وكنت أنتظر — وصـدرى يدور به الحنق ويحرجه الكره والاحتقار معاً — أنتظر مترقباً نظرات ذلك البهيم النائم الذى يهيمن على فأنا له عبد ذليل ، ولـكن ما تكاد تبدو لعينى حدقتاها الشاحبتان كليلتين سقيمتين إثر الأحضان الأخيرة ، حتى تتقد حواسى ويضطرم كيانى . فكأنما نار تلهبنى فتستنزف كل عزمى وقواى ، ولـكنها حين ذلك اليوم طالعتنى بنظرة مختلفة حزينة بائسة لا ترجو من العالم شيئاً

آه ! حقا رأيت ذلك وعلمته ، ولقد شعرت به للتو وفهمته ، إذ انتهى كل شئ ؛ انتهى كل ما ترجو إلى الأبد ، وعندى على ذلك الدليل يقوم فى كل ساعة وأخرى ؟

فإذا ما عانقتها صدفت عنى قائلة : « هلا تركتنى إذن ؟ » أو قبلتها فتقول : « إنك لبغيض ! » أو تقول : « أفلن أجلس حيناً وادعة ؟ ! »

حين ذلك غرت ، ولـكن كما يغير الـكلاب ... أثارت ما أثارت من ارتياب وكتمان وحيلة . علمت حقا أنها ما عزفت عنى إلا لتفسح مجالا لآخر تذكى عواطفه وتلهب حواسه . . .

غرت غيرة هادرة طائشة مجنونة ، ولـكنى لم أكن مجنونا . كلا ! حقيقة كلا ! وانتظرت ، آه ! ثم حنوت عليها ولم يخب ظنى ولم تخدعنى عيناها إذ ظلتا باردتين مثقلتين ، وقد تقول حينذاك : « إن الرجال لتؤذينى وتسئمنى » ، وكان ذلك حقا

غدوت حينئذ غيوراً منها نفسها ، ومن عزوفها ونفورها ؛ غيوراً من فراغ لياليها ووحدتها ؛ غيوراً من حركاتها وإشاراتها ، ومن عقلها الذى أستشمر دائما عاره ؛ غيوراً من كل ماأتوهم وأحدس وأرى . وقـد تلقانى صبح ليلة من لياليـنا المضطرمة ، بنظرة رضية ناعمة ، كأنما خالطت روحها شهوة فحركت من رغباتها . . . حينئذ يحتدم قلبى حنقاً فتختنق أنفاسى فى صدرى التحرج ، وتصرخ رغبة فى نفسى أن أخنقها ، وأهشم عظمها تحت ركبتى ، وأنشب فى جيدها أظفارى ، حتى تقر بمخازيها المخلة وتفضح أسرار فؤادها المرذول

أبى مس من جنون ؟

— كلا !

فهأنذا قد انتعشت فى إحدى الليالى وانتشيت واستشعرت إحساساً جديداً يخالطها ، وكنت واثقاً من هذا تمام الثقة ؛ فقد كانت تتمتم كما تفعل بعد العنـاق عادة ، ونظراتهـا توقدت واضطرمت وذراعاها قد شاع فيهما الدفء والحيـا ، واضطرب كيانها أجمع إذ تتحكم فيه الرغبة الثائرة الجموح . وضاعت منـه روائح خفية مسكرة ، هى روائح الحب الذى صرع الفؤاد وأعمى البصيرة

وتغابيت ، ولـكن أحاط بها انتباهى كالشرك ، ومع ذلك فما كشف لى منها عن شىء

وتربصت أسبوعاً ، فشهراً ، ففصلا . والآن رأيت جهومتها قد زالت وتدفقت فيها حميا مبهمة ، ثم استراحت إلى حياة قوامها عناق ، وعمدتها قبل

وفى لحظة وامضة أدركت ! فما بى مس من جنون ! وإنى لأقسم أن ليس بى مس من جنون !

كيف أقص ذلك عليك ؟ كيف فهمت ؟ كيف أبين لك الشئ المبهم الممقوت ؟ !

إليك ما نبهنى إلى كل شئ : فى تلك الليلة التى حدثتك عنها كانت عائدة من نزهة على صهوة جواد فسقطت عنه . وقد جلست ليلتئذ أمامى فى مقعد وثير متوردة الوجنتين ، مخمرة العينين ، مرضوضة الساقين ، صدرها يعلو ويهبط مثل أمواج المحيط . لقد أدركت كل شئ حين رأيتها . إنها تحب ! ولم أستطع أن أخادع نفسى !

حينذاك فقدت شعورى وكرهت أن أنظر إليها . فتحولت إلى النافذة وهنـاك بصرت بخادم يقود جواداً من عنـانه يشبو ويثب . . . أما هى فقد نظرت الجواد الفتى الشـابى ، وأتبعتـه بصرها حتى غاب فاستلقت وغفت . . .

وطفقت أبحث طول الليل فى ذلك . وخيل إلى أننى أوغل

فى غموض ما كنت أتوقعه من قبل . ومن زعم أنه عجم عود النساء الأعوج ، وسبر رغباتهن المتضاربة ؟ ومن ادعى أنه فهم تقلباتهن الغادرة ورغباتهن السافلة ؟

* * *

كانت تخرج صباح كل يوم على صهوة الجواد إلى الغاب والسهول ، ثم تعود لاغبة مكدودة فى كل مرة ، كما تفعل عادة بعد أن تسكت عنها نوبة من الحب الطائش . الآن قد فهمت ، فغدوت غيورا من الجواد النهد الكريم ، واجدا على النسيم العاشق إذ يحتضنها بينا تنطلق فى شوط سريع أهوج ؛ وغدوت حاقدا على أوراق الشجر إذ تقبل أذنيها عرضا ، حاسدا لأشعة الشمس إذ تلثم جبينها من بين الغصون ، ولذلك السرج إذ يحملها ويلمس فخذيها البضتين

كان هذا كل ما يسرها ويغويها ، ويطلق أسارير محياها ويغريها ، وكان هذا كل ما يكدها ويضنيها ، فتلقانى متعبة لاغبة إلى حد الإغماء ...

وأزمعت الانتقام لنفسى . وكنت أتلطف معها فى الخطاب متلطفا مدللا ، وكنت أمد إليها يدى لتعتمد عليها حين تقفز عن صهوة الجواد بعد أشواطها الهوجاء المضنية . وكان الجواد يرمقنى ثم يفحص الأرض صبوة وفتوة . وكانت تدلله وتربت على كتفه ، أو تحتضن أنفه اللاهث . ولا تنسى أن تمسح على رأسه وأصداغ فمه المزبد . وكان ريحها العطر يضوع من جسد تصيب منه عرق أعرف أريجه وسط الليل . وكان هذا العطر يختلط فى أنفى بريح الجواد الأصهب

وطفقت أتحين الفرصة وأتربص الدوائر . لقد كانت تسير كل صباح فى أحراج من السدر توغل فى الغاب ... ففى يوم غدوت مع الفجر ، وفى يدى حبل متين الفتل ، وفى صدارى مسدسان محشوان ، كأنى ذاهب إلى مبارزة

وعدوت نحو الطريق التى تحب ، وربطت الحبل فى جذعى شجرتين متقابلتين ، ثم تعقبتها فى الأحراج

وكثيرا ما خبرت الأرض بسمعى . والآن سمعت وقعا رتيبا من بعيد . وبصرت بشئ من بين الأغصان يسبح فى الهواء سبحا . آه ! ... لم أخدع فقد كان هو الجواد النهد الأصيل . وأما هى فقد كانت نشوى من فرط السعادة محمرة الوجنتين . وتبدلت نظرات عينيها فهى الآن طروب لعوب ، وتطلقت أعصابها من الهم واستراحت إلى تلك القسوة المنعزلة

ولما أن كبا الحصان عقدمه تهشمت عظامه ، وطرح بفتاتى بعيداً فلاقفتها بين ذراعى القويتين حينذاك على حمل ثور سمين . وبعد أن وضعتها على الأرض فى هينة ورفق دنوت منه « هو » وقد كان يحملق فينا حينذاك ويحاول أن ينهشنى ، فأطلقت عليه الرصاص فى الأذن فخر صريعا يتشحط فى دمائه الثرة وقتلته . . . كما يقتل الغريم !

ولكنى أنا نفسى سقطت على الأرض ووجهى قد أدمته جلدتا سوط كان فى يدها . ولما أن تأهبت لأن تلهبنى بالثالثة أفرغت فى جوفها الرصاصة الأخرى . .

فخبرنى بربك أ كان مابى مسا من جنون ؟ !

س . م

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

المجلد الأول

المجلد الثاني

المجلد الثالث

للأستاذ أحمد حسن الزيات

مطبعة الرسالة